تنويه

يتم نشر هذه اللقاءات والمداخلات
والأسئلة والإضافات كما هي
دون تعديل أو إضافة

لقاءات تبيان العلمية ..

مجموعة من اللقاءات والندوات العلمية التي
عقدتها الجمعية العلمية السعودية للقرآن
الكريم وعلومه (تبيان)

الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه (تبيان)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد :

فإن البحث العلمي أس أساس للنشاط العلمي لأعضاء هيئة التـــدريس في الجامعات وقد تنوعت مشاربه ، وتعددت موارده، واختلفت أنماطه، واتسعت مجالاته.

وقد شاركت الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم (تبيان) في دعم هذا المجال العلمي كتابةً ونشرا

فساهمت في نشر كثير من الرسائل والبحوث العلمية وأصدرت مجلة خاصة بنشر البحوث العلمية المحكمة

كما قامت بتنظيم لقاءات علمية متعددة جاوزت الأربعـــين ومحاضـــرات وورش عمل ودورات علمية و لم تدع مجالاً علمياً إلا وساهمت فيه

ومهما كان عدد حضور هذه المحاضرات والورش فإن الجمعية قامت ببث كثير من هذه المحاضرات مباشرة ونشرتها في موقعهـــا الألكتـــروني لتضـــيف أضعاف أضعاف عدد الحضور إلى قائمة المستفيدين.

وهاهي تقدم نوعاً جديداً آخر قلّ أن نجد من يعتني به وهو تفريـــغ هـــذه

المحاضرات وكتابتها ونشرها ، بل ونشر التعقيبات عليها لتظل نموذجاً للحـــوار العلمي.

وأحسب أن مثل هذا الكتاب الذي بين يديك أخي القارئ يحمل إليـــك مادة علمية متنوعة ستجد فيها مايفتح لك أبواباً من أبـــواب العلـــم وســـتجد مايثري من مسائل وحوارات علمية ، والجمعية حين تنشر مثل هذه المحاضرات لاتزعم أنها استوفت وأغنت ولكنها في كل ماتنشر إنما تقدم مجالاً ينطلق منـــه الباحثون لإتمام المسيرة ، ومواصلة العطاء ، وإثراء الحوار ،

وكفى بهذا الهدف داعياً لنشر مثل هذه المحاضرات والبحوث العلمية .

نسأل الله التوفيق والسداد .

رئيس اللجنة العلمية بالجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه

أ.د فهد بن عبد الرحمن الرومي

اللقاء العلمي (١)
(القراءة بالألحان بين المنع والتجويز والنظرية والتطبيق)

أ.د.إبراهيم بن سعيد الدوسري

الرياض

مغرب يوم الثلاثاء ٨ /١١/ ١٤٣٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، ونسأل الله العون والتسديد، أما بعد:

أهمية الموضوع:

- صلته بكتاب الله.
- عناية العلماء به قديماً وحديثاً، فقد تكلم فيه أئمة المذاهب الأربعة، وتكلم عنه المتأخرون والمعاصرون.
- أن منهم من خصه بالتأليف، كابن الكيال في كتابه الأنجم الزواهر في تحريم القراءة بلحون أهل الفسق والكبائر، والشيخ لبيب السعبد في كتابه التغني، والشيخ أيمن سويد في كتابه البيان لحكم قراءة القرآن الكريم بالألحان.
- الاهتمام المتزايد بها في الآونة الأخيرة من عدد من المهتمين، وبخاصة الشباب.

القراءة سنة:

- أثر عن عدد من الصحابة والتابعين منهم زيد ﷺ ومحمد بن المنكدر: القراءة سنة يأخذها الأخر عن الأول.
- قال الإمام أبو مزاحم الخاقاني رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وإن لنا أخذ القراءة سنة ** عن الأولين المقرئين ذوي الستر).

الألحان والتلحين:

- ''اللُّحُون والألْحان: جمع لَحْن وهو التَّطْرِيب وتَرجِيع الصَّوْت وتَحسِين القِرَاءة والشِّعر والغِنَاء'' [النهاية في غريب الأثر - (٤ / ٤٦٠)].
- الأذان ـــ الدعاء ـــ الإنشاد ـــ الوعظ..إلخ.
- ''الألحان في القراءة والنشيد لميل صاحبها بالمقروء والمنشد إلى خلاف جهته بالزيادة والنقصان الحادثين بالترنم والترجيع'' [الفائق في غريب الحديث - (٣ / ٣٠٩)].
- التلحين: الأصوات المعروفة عند من يغني بالقصائد وإنشاد الشعر، وهي سبعة ألحان رئيسة. (التجريد لمعجم مصطلحات التجويد).

مصطلحات أخرى مشابهة

- **التطريب:**

التنغّم بالقراءة والترنّم بها، بحيث يزيد في المدّ في موضع المدّ وغيره.

- **التحريف:**

قراءة مجموعة بصوت واحد مع مراعاة قوانين النغم دون مراعاة قواعد التجويد، فيحركون السواكن التي لا يجوز تحريكها ويمدّون ما لا يمدّ ويقصرون ما يجب فيه المدّ ونحو ذلك، فيقرؤون مالك يوم الدين - مثلاً -: يوم الدِّن، وهو من الأساليب الممنوعة في التلاوة.

- **التجريد:**

الفرق بين تحسين القراءة والقراءة بالألحان:

(تحسين الصوت بالقراءة غير قراءة الألحان، فتحسين الصوت تزيينه بالترتيل والجهر والتفخيم والترقيق، وقراءته بالألحان هي قراءته بطريق أهل علم الموسيقى في الألحان، أي في النغم والأوزان) (إكمال الإكمال).

طريقة السلف قراءة القرآن بدون ألحان:

"والسلفُ كانوا يُحَسِّنون القرآنَ بأصواتِهم من غيرِ أن يتكلفوا أوزانَ الغِناء، مثلَ ما كان أبو موسى الأشعري يَفعلُ، فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «لقد أُوتِيَ هذا مِزْمارًا من مَزاميرِ آلِ داودَ». وقال لأبي موسى الأشعري: «مررتُ بك البارحةَ وأنتَ تقرأ، فجعلتُ أستمعُ لقراءتِك»، فقال: لو علمتُ أنك تسمعُ لَحبَّرْتُهُ لكَ تحبيرًا. أي لحسَّنْتُه لك تحسينًا. وكان عمر يقول لأبي موسى الأشعري: يا أبا موسى، ذَكِّرْنا ربَّنَا، فيقرأ أبو موسى وهم يستمعون لقراءته.

وقد قال النبي ﷺ: «زَيِّنُوا القرآنَ بأصواتِكم». وقال: «لَلَّهُ أَشَدُّ أَذَنًا إلى الرجلِ الحسنِ الصوتِ بالقرآنِ من صاحبِ القَيْنَةِ إلى قَيْنَتِه». وقال: «ليس منّا من لم يَتَغَنَّ بالقرآن».

وتفسيرُه عند الأكثرين كالشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهما هو تَحْسِين الصوتِ به. وقد فَسَّره ابن عُيينة ووكيع وأبو عبيد على الاستغناء به" [جامع المسائل لابن تيمية: ٣/٣٠٤].

تاريخ القراءة بالألحان:

● علم الألحان علم قديم، عرفه قدماء اليونان، فتحدث عنه أرسطو وأفلاطون وغيرهما، وتعتبر مؤلفات الكندي المتوفى ١٢٠هـ من أقدم ما وصل إلينا. [مقدمة محقق الموسيقى للصفدي] .

● وكانت الألحان معمولًا بها في معابد اليهود والنصارى.

● أول ما ظهرت قراءة القرآن بألحان الغناء في الإسلام في المائة الثانية وكان ممن يقرأ بهذه الألحان الهيثم وأبان وابن أعين ومحمد بن سعيد وهذا من أهل المائة الثالثة. [تاريخ القرآن الكريم للكردي].

دخول المعازف في تلاوة القرآن:

وما ينادي به بعضُ الكُتَّابِ من تلحين القرآن بزعم تصوير المعاني وضبط الأنغام، وربما تمادى بعضهم وطالب بما يقارن تلك الألحان بالآلات الموسيقية، فكل ذلك جرأة على كتاب الله -تعالى ذِكرُه وتقدس اسمُه-، ولا شك أن الاشتغال بتلك الأنغام يوقع القارئ في تحوير الألفاظ، ويصرف السامع عن تدبر المعاني، بل يفضي بها إلى التغيير، وكتاب الله -تعالى- مجد المسلمين يتره عن ذلك. [حول فكرة تلحين القرآن " لعبد الفتاح القاضي بمجلة الأزهر الجزء الأول، عدد محرم ١٣٨٧ هـ، والجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم للبيب السعيد صـ ٣٤٣].

حكم قراءة الألحان عند القراء:

● يعد عندهم من الأساليب الممنوعة في القراءة، وأما الإقراء به فقد نص الشهرزوري على أنه لا يجوز الإقراء به.

- ويلحق به التطريب وغيره، حيث النص عن ابن مجاهد على منعه.
- وهو لا يذكر في كتب القراءات والتجويد إلا على وجه النهي عنه.

مجمل الأقوال عند الفقهاء:

- الجواز: (الترخيص ــ الاستحباب): الأحناف وبعض الشافعية.

وهو مذهب عطاء، وقد ذهب إليه من المفسرين أبو جعفر الطبري وأبوبكر ابن العربي.

واستحبه بعض المتأخرين كالفوراني!!

- المنع: (التحريم - الكراهة)، وهو مذهب المالكية والحنابلة، ويروى عن الإمام الشافعي، وهو ما اختاره أبو عبيد.

واختلفت عباراتهم في التحريم والكراهة، ويظهر أنها كراهة تحريم.

حجج المجيزين:

أ- حديث: « زينوا القرآن بأصواتكم ».

ب- حديث: « ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن ».

ج - حديث عبد الله بن مغفّل قال: (لقد أعطيتَ مزماراً من مــزامير آل داود) فقال له أبو موسى: (لو علمت أنك تسمع لحبّرته لك تحبيراً).

هــ- حديث: (ما أذِنَ الله لشيء أذنَه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن).

و- وقالوا أيضاً: إنّ الترنّم بالقرآن والتطريب بقراءته من شأنه أن يبعــث على الاستماع والإصغاء، وهو أوقع في النفس، وأنفذ في القلب وأبلغ في التأثير.

وقد روى الطبري: عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه كان يقول لأبي موســى

الأشعري: ذكّرنا ربنا، فيقرأ أبو موسى ويتلاحن فيقول عمر: من استطاع أن يتغنى بالقرآن غناء أبي موسى فليفعل.

وكان ابن مسعود: تعجبه قراءة (علقمة الأسود) -وكان حسن الصوت- فكان يقرأ له علقمة، فإذا فرغ قال له: زدني فداك أبي وأمي. [روائع البيان].

حجج المانعين:

- كون الألحان بدعة، وأخذ القراءة سنة.
- إن التغنّي والتطريب يؤدي إلى أن يزاد على القرآن ما ليس منه، وذلك لأنه يقتضي مدّ ما ليس بممدود، وهمز ما ليس بمهموز، وجعل الحرف الواحد حروفاً كثيرة وهو لا يجوز، هذا إلى أن التلحين من شأنه أن يلهي النفوس بنغمات الصوت، ويصرفها عن الاعتبار والتدبر لمعاني القرآن الكريم.
- وسئل الإمام أحمد: ما تقول في القراءة بالألحان؟ فقال للسائل: ما اسمك؟ قال: محمد، قال له: أيسرّك أن يقال لك: يا موحامد ممدوداً؟!

رد المجيزين على المانعين:

قال ابن حجر: "والذي يتحصل من الأدلة أن حسن الصوت بالقرآن مطلوب، فإن لم يكن حسناً فليحسنه ما استطاع... ومن جملة تحسينه أن يُراعى فيه قوانين النغم، فإن الحَسَنَ الصوتِ يزداد حسناً بذلك وإن خرج منها أثّر ذلك في حسنه، وغير الحسن ربما انجبر بمراعاتها ما لم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات، فإن خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الأداء، ولعل هذا مستند من كره القراءة بالأنغام؛ لأن الغالب على من راعى الأنغام أن

لا يراعي الأداء، فإن وجد من يراعيهما معاً فلا شك في أنه أرجح من غـــيره؛ لأنه يأتي بالمطلوب مع تحسين الصوت، ويجتنب الممنوع من حرمة الأداء".

رد المانعين على المجيزين:

قال أبو عبيد: وعلى هذا المعنى تحمل هذه الأحاديث التي ذكرناها في حسن الصوت، إنما هو طريق الحزن والتخويف والتشويق، يبين ذلـــك حـــديث أبي موسى: أن أزواج النبي ﷺ استمعن قراءته، فأخبر بذلك، فقال: لـــو علمـــت لشوقت تشويقا، أو حبرت تحبيرا. فهذا وجهه لا الألحان المطربة الملهية.

حديث اقرؤوا القرآن بلحون العرب:

حديث: «اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتهم، وإيّاكم ولحـــونَ أهـــل الكتاب والفسق، فإنه يجيءُ من بعدي أقوام يرجّعُون بـــالقرآن ترجّـــع الغنـــاء والنوح، لا يجاوز حناجرهُمْ، مفتونةٌ قلوبُهم وقلوبُ الذين يعجبـــهم شـــأنُهم» [الخبر منكر وفيه راو لم يسم، فالحديث ضعيف لا يعول عليه].

قال صاحب العلل المتناهية رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا حديث لا يصح، قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح الجامع عقب هذا النص:قال الهيثمي فيه راو لم يسم. وفي الميزان: تفرد عن أبي حصين بقية وليس بمعتمد والخبر منكر].

صوت داود فضل ومعجزة:

وقد ذُكر أن داود -عليه السلام- له معرفة بالنغم والعزف، وأن المزامير ما صنعت إلا على صوته، ولم يثبت في ذلك نقل صحيح يُعوّل عليه، والصـــواب تنزيهه عن ذلك، بل آتاه الله -تعالى- الصوت الحسن هبة إلهيـــة إذ يقـــول الله

تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ﴾ [سبأ:١٠].

والمراد بالمزمار: الصوت الحسن، وأصله الآلة المعروفة، وأطلق اسمها على الصوت للمشابهة.

تحرير شيخ الإسلام ابن تيمية:

"تنازع الناسُ في قراءةِ الألحانِ، منهم مَن كرهَها مطلقًا، بل حَرَّمها، ومنهم من رخَّصَ فيها، وأعدلُ الأقوالِ فيها أنها إن كانت موافقةً لقراءة السَّلفِ كانت مشروعةً، وإن كانت من البدع المذمومة نُهِيَ عنها".

تحرير ابن القيم:

وفي ذلك يقول ابن القيم (ت ٧٥١ هـ): "وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعاً أنهم برءاء من القراءة بألحان الموسيقى المتكلفة التي هي إيقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة، وأنهم أتقى لله من أن يقرؤوا بها ويسوِّغوها، ويعلم قطعاً أنهم كانوا يقرؤون بالتحزين والتطريب، ويحسنون أصواتهم بالقرآن، ويقرؤونه بشجي تارة، وبطرب تارة، وبشوق تارة، وهذا أمر مركوز في الطباع تقاضيه، ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضي الطباع له، بل أرشد إليه وندب إليه، وأخبر عن استماع الله لمن قرأ به، وقال: «ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن»، وفيه وجهان: أحدهما: أنه إخبار بالواقع الذي كلنا نفعله، والثاني: أنه نفي لهدي من لم يفعله عن هديه وطريقته ﷺ ".

تعليق:

وعلماء التجويد والقراءات لا يعتدون بعلم الألحان، وإنما يشتغل به من يتخذون القرآن الكريم حرفة لإحياء الليالي والمآتم ونحوها، أو من يحبون الشهرة، وما ذكره ابن حجر (ت٨٥٢ هـ) وغيره من الأئمة المعتبرين من الجواز في ذلك إنما مرادهم التلحين البسيط الذي لا يؤثر على الأداء الصحيح، وهذا هو محل الخلاف.

تأما التلحين الموسيقي الذي ابتلي به بعض الناس ممن لا يُعتبرون من علماء التجويد ولا القراءات فلا يختلف في تحريمه؛ لأن الأداء الصحيح متوقف على مقدار معين في الحركات ومقادير الغنن والمدود، وكذلك التلحين يتعين له مقدار من الصوت لا يتم إلا به، فلا يمكن اجتماعهما في القرآن الكريم المنزل للإعجاز.

تحرير محل النزاع:

وإن وقع خلاف بين العلماء في جواز القراءة بالألحان، على أن هذا الخلاف عند إمعان النظر مرتب لا مفرّع، وذلك أن القراءة بالألحان لا تخرج عن حالتين:

الحالة الأولى:

الألحان التي تسمح بها طبيعة الإنسان من غير تصنّع، وهذا ما يفعله أكثر الناس عند قراءة القرآن، فإن كل من تغنّى بالقرآن فإنه لا يخرج عن ذلك التلحين البسيط، وذلك جائز، وهو من التغني الممدوح المحمود، كما قال

الرسول ﷺ: «ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن»، وعلى هذه الحالة يحمل الحكم بالجواز والاستحباب.

الحالة الثانية:

الألحان المصنوعة والإيقاعات الموسيقائية التي لا تحصل إلا بالتعمّل والتمرين، ولها مقادير ونسب صوتية لا تتم إلا بها، فذلك لا يجوز، لأن أداء القرآن له مقاديره التجويدية المنقولة التي لا يمكن أن تتوافق مع مقادير قواعد تلك الألحان إلا على حساب الإخلال بقواعد التجويد، وذلك أمر ممنوع.

الخلاصة:

- أن القراءة بالألحان ظهرت في القرن الثاني، وعدها علماء الإسلام بدعة.
- القراءة سنة متبعة، وعلماء التجويد والقراءات لا يعتدون بالألحان في تعليم القراءات وأدائها.
- حكم القراءة بالألحان دائر بين المنع والجواز.
- الخلاف في القراءة بالألحان مفرع على مراعاة قواعد التجويد، فإن وافقها فجائز، وإن خالفها فممنوع.
- تحسين القراءة بالصوت أمر مستحب، وهو غير الألحان.
- التلحين الموسيقي الذي ابتلي به بعض الناس ممن لا يُعتبرون من علماء التجويد ولا القراءات فلا يختلف في تحريمه.

أهم التوصيات:

- حول فشو ظاهرة تعليم الألحان والإمعان فيها، ووجوب تصدي الجهات المسؤولة لكبح جماحها.
- الحث على تعليم القرآن وأدائه على منهج السلف.

والحمد لله رب العالمين.

التعقيبات والمناقشات والأسئلة

أحد الحاضرين عندي سؤالان:

السؤال الأول: هل منع القراءة بالألحان بسبب عدم قراءة السلف بها، أو من باب سد الذرائع؟

أجاب حفظه الله: الأصل في القراءة أنها سنة، وكذلك المنع حماية وصيانة للقرآن من أن يدخل فيه الاجتهاد وأن يلعب به السفهاء.

السؤال الثاني: هل مراتب الألحان من التطريب والتحزين وغيره، بحكم واحد من حيث الكراهة والمنع أو أن القراءة بالألحان الموسيقية مع المحافظة على النطق الصحيح للأحرف والتجويد جائز؟

أجاب حفظه الله: الشيخ محمد -يعني السائل- من فرسان هذا الميدان وقد سأل وأجاب فمراتب الألحان أو مايسميه القراء "أساليب القرآءة" مثل: التحزين والتطريب والترجيع، واشتقاق التحقيق، والتحقيق والحدر والتدوير...، وهي عشرة مراتب ذكرها علي الأهوازي رحمه الله، وهي تختلف عن الأنغام السبعة المعروفة.

أما مراتب القراءة وهي أنواع :

١- متفق عليها أن يُقرأ بها في مجال التعليم وغير مجال التعليم وهي (الحدر- التدوير –والتحقيق – والترتيل).

٢- ومختلف فيه، منهم من أجازها في غير مجال التعليم استناداً على بعض الأحاديث وبعضهم منعه، مثل"الترجيع": وهو التردد في الصوت عند المدود ووالتطنين في بعض النونات، والتطبيق العملي طبقه عبدالله بن المغفلﷺكما في صحيح البخاري وقال (آ آ آ) وهي تمويج المدود وهكذا، وكان شيخي الزيات رحمه الله إذا قرأنا عليه بها يوقفنا عن القراءة ويطلبنا بإعادة المدّ ويريده قائماً كالعمود بدون تمويج ولايريد أي تطنين في النونات، وأما" التحزين" فبعض علماء القراءة يمنعونه وأجازه بعضهم مالم يكن مبالغاً فيه، والأمر في هذا واسع وفيه نوع من التجوّز.

٣- أما مامنعوه في التعليم وفي غيره مثل:" الترقيص "و "التطريب"، والترقيص هو أن يهزّ الحرف هزاً كأنه يرقص شيئاً في يده، و" الترعيد " وكأنه يقرأة وهو يرتعد من شدّة البرد وهو تردد سريع، والتطريب: وهو أن تكون قراءته فيها نوع من الترنم والتغني بحيث يصل إلى حد التغنج وما شابه ذلك وهذا مما لا يليق بأهل القرآن، وهذا ممن يأخذ به أهل التلحين.

د.: عيسى الدريبي:

جزاكم الله خيراً على الطرح وإثارة الموضوع –وهو من خبراء هذا الفن–، لاحظت منذ بدأ أن منطلق الشيخ كمنطلق العلماء الأثبات منطلق الحفظ

والحرص وحماية جناب القرآن ولا شك أن هذا أمر معتبر، خاصة وأن هذا الموضوع تحدث عنه أهل العقائد في باب "التحذير من البدع" وطرق عند الفقهاء وكبار الأئمة الأربعة، وزاوية هذا الانطلاق في هذا الموضع من باب الحرص والمحافظة مهم جداً ولكن ربما يجعلنا ننطلق في زاوية الحذر وقد يأخذنا الحيطة جملة وتفصيلاً، وقد عُنيت بهذا الموضوع بتحقيق كتاب لابن الكيال الدمشقي وهو من أفضل الكتب المستقلة، ولعلي أذكر في هذا المقام مخطوط لمحمد العمر، فعندما ننظر للأحاديث التي وردت فيها هذه المصطلحات لا يمكن أن ننكر اللمسة الجمالية وهو أمر له دور في الدين وهي من الأمور التي امتن الله بها حتى في أمور الحاجيات ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ ﴾ [النحل:٦]، وحينما ننظر للأحاديث و الأثار الواردة في القرآن الكريم و منها الأثر أو الحديث الذي ذكره الدكتور "اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها" وهو كما ذكر الدكتور حديث ضعيف جداً وكثير من العلماء ضعفه، ولكن من العلماء من قال بأنه ... صحيح وله شواهد، فالأحاديث التي وردت فيها بعض الألفاظ كلفظ "التزيين" و"التطريب"و"المزمار" و"الحزن"، كلها أنماط موسيقية وأقصد بالموسيقى هنا أداء الصوت، كل هذه الأمور تشير إلى أن تأصيل مثل هذا العلم أمر له أهمية مع أهمية أخذ جانب الحيطة والحذر في حفظ جانب كلام الله ﷻ عن أن يُتخذ هزواً، وهو الذي ألف فيه العلماء كابن الكيال وغيره.

لكن أقول: إن هذه القيمة الجمالية فأنا أتمنى من المتخصصين في هذا الجانب (علم القراءات والأصوات) وعلم الأصوات مرتبط بعلم التجويد ارتباطًا

وثيقَا، وقلّ من المتخصصين من جمع بينهما فمثلاً د.غانم القدوري أحد العلماء المبرزين في هذا الجانب وأصله متخصص في الأصوات فجمع بين علم الصوتيات وعلم التجويد، فالتجويد علم صوتي كما أرى.

فأنا أقول د. إبراهيم ومن عُني بهذا المجال الآن ما تفضلت عنه بالحديث عن التحذير وأن هناك قنوات وأن هناك تربية -إن صح التعبير- هناك جزء من يربي أبناء هذه الأمة على مثل هذا الموضوع في المسابقات المتخصصة أنا أقول: لماذا لا نضبط هؤلاء ضبطاً علمياً صحيحاً؟!

المحرم هو الذى تحدث فيه العلماء -مثل ما ذكرت- قضية الالتزام بنغم معين وحتى قضية التحريم في الالتزام بنغم معين أريد أن أبحث أو أن اسأل فيها الدكتور !..بدلالة حديث الترجيع حديث عبدالله بن المغفل تسمح لي أقرأ في قضية التطنيب ما تخريج لمثل هذا القول؟ قال روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مغفل قرأ النبي ﷺ عام الفتح، في مسير له، سورة الفتح على راحلته. فرجع في قراءته. قال معاوية: لولا أني أخاف أن يجتمع علي الناس. لحكيت لكم قراءته.

قال فضيلته: أو "لحكيت لكم هذا اللحن"

الراوي: عبدالله بن مغفل المزني المحدث: [صحيح مسلم - الرقم: ٧٩٤] خلاصة حكم المحدث: صحيح.

د. عيسى : نعم، فلماذا هذا التابعي تخوّف؟!

برأيي: تبادر لي أن هذا التخوف جزء من هذا التخوف الموجود الآن أن

يقرأ بقراءة غريبة ملفتة.

هل من الممكن من المختصين أمثالكم بدلاً من أن يعمل هؤلاء.. وسيعملون، فلماذا لا تكون لجنة لضبط هؤلاء تعنى وتنشأ ضبطهم، وهم منتشرون ولهم من يدعمهم ولهم قنواتهم فلا نستطيع منعهم ولكن يمكن أن يضبط ويرشح. وشكر الله لكم.

أجاب: ولكم بمثل. ما تفضل به الدكتور كلمة ضافية ومفيدة، الحديث لو بدأنا به هو قال: "لولا أني أخاف أن يجتمع علي الناس" كأنه يتحفظ من هذا الشيء فيبدو أنه لم يكن مستعملاً في قراءة الرسول ﷺ، ولهذا منعه العلماء لأنهم يرون أن القراءة تؤخذ على وجه الاستفاضة وعلى وجه التواتر، ويعدون مثل هذه الأشياء التي تثبت عن الرسول ﷺ في بعض المناسبات إما على وجه الجواز فقط أو يجدون لها تحليلًا آخر من هزّ الناقة، وهذا فيه نظر لا يمكن طبعاً، كان وقت فرح وسرور وأراد الرسول ﷺ أن يُظهر هذا الفرح وهذا السرور، المهم ما نريد أن نصل إليه هو أن مبدأ صيانة القرآن الكريم وحمايته وحفظه من أن يتسلل إليه أي دخيل، هذا في الحقيقة كلنا نتفق عليه.

وأما موضوع علماء الأصوات أو علماء اللحن؛ فبالنسبة لعلماء الأصوات فليس علم القرآن صناعتهم ولا يعرفون مبادئه الأساسية التي قام عليها ولذا نجد عندهم خلطًا كثيرًا وأخطاءً فاحشةً علماء القرآن ينكرونها ولا أريد أن أسمي أسماء معينة من أسماء بعض اللامعين أو البارزين أو العلماء الأفذاذ المشاهير الذين لهم فضل في الحقيقة في ترسية علم الأصوات وإن كان معروف أن من أرسى

علم الأصوات وهو إبراهيم أنيس ومن حذا حذوه ونعرف إبراهيم أنيس ما هي دينانه، وكذا.. فعلم الأصوات بهذه التسمية أصلاً دراسته غربية وليست علمًا عربيًّا إسلاميًّا، فليس الرد على العلم، لكن ربطه بعلم التجويد ربطاً وثيقاً وتحكيمه له وجعله موازياً له لا أوافق عليه ولذلك نجد عندهم زلات كثيرة وأخطاء كثيرة حينما يناقشون في بعض قضايا ويعملون الرأي دون أن يعتمدوا على النقل أو المشافهة.

أما موضوع ما تفضلت به من أمور جمالية وكذا في الحقيقة مثل ما ذكرت لك: بعض علماء القراءات يعرفون هذا الشيء ويوجهون الطلاب إلى هذه الأشياء، وكان من مشايخنا - يغفر الله له- الزيات من أشد الناس تحفظاً في اقراء القرآن الكريم إلى درجة لا توصف، رجل ملتزم التزامًا تامًّا وهو يقول إنه يعرف النغم جيداً، ولكن لا يجوز أن نُقريء به وكنت أقرا به في بعض المناسبات يعني أنه يلتزم بنغم معين، وفي مرة من المرات كان عندنا أحد الطلاب أحد الزملاء يقرأ، وهذا الطلاب يعلم النغم جيداً فالتزم بنغم معين، فأوقفه الشيخ فقال: لا تفعل إلا أن تحكم قواعد التجويد، فالأصل عندهم قواعد التجويد وهذا طارئ إذا أتى أخذوا به على وجه التحسين للقراءة وعلى وجه التزيين لها وإلا فحقيقة موضوع القراءة واللحن لا يمكن أن يتفقا، فهذا خط وهذا خط آخر، فالجمع بينهما متعذر وإظهار جمال القرآن وحسنه ممكن من غير هذه الأشياء.

أما موضوع التحزين وقراءة القرآن بهذه الطريقة، فهذه لها أثر وليست

مرتبطة بهذا الجانب.

إجابة على سؤال أحد المتواجدين: (مفاده) هل يجوز الاشتغال بتعلم هـــذه الألحان؟ قال: الذي يظهر لا، ونقلت نصوص العلماء لأن أصحاب المقامات لهم مباديء معينة ولهم أسلوب معين فإذا كنت تلتقي معهم فلابد التنازل على بعض الأشياء، فلأن نشتغل بحفظ القرآن وتلقيه وحفظ منظومات العلمـــاء ودراســـة معاني القرآن الكريم وفهمها أنفع من الاشتغال بهذه الملهيات.

د. : عبدالرحمن بن معاضة الشهري:

أشكر د. إبراهيم -حفظه الله- على ما تفضل به، وكنت أنتظـــر تطبيقـــاً عملياً على المقامات التي تفضل بها فيقرأ لنا مقطعًا من القرآن بمقام الحجـــاز ثم مقام الصبا ثم مقام.. وإذا كان الدكتور لا يريد ذلك فأقترح عند إلقاء مثل هذا الدرس أن يوجد هناك نماذج، وأتوقع أنها موجودة في الإنترنت في موقع (قاف للقرآن) نماذج بالحجازي بالصبا بالسيكا، حتى يكون المستمع على بينه من هذا.

المسألة الأخرى هو ما ذكرتم من مقولة الشيخ ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وهو أنـــه إذا وافقت القراءة بالألحان قراءة السلف فهي مقبولة وجائزة وإذا خالفتـــها فإنهـــا تكون محرمة، أقول: ألا يمكن أن نشتغل على هذا الجزء الموافق لقراءة الســـلف في فائدة واحدة يمكن أن يستفاد منها وهي عند تدريســـي للطـــلاب القـــرآنَ والتجويدَ أجد أن بعض الطلاب يصعب عليهم الترتيل ألا يمكن الاستفادة مـــن المقامات في تدريبهم على الترتيل على الأقل مع التزام بقواعـــد التجويـــد بمـــا تفضلت، وشكر الله لكم.

أجاب حفظه الله: القراءة سنة، وعلماء القراءات لا يُقرؤن بهذه الأشياء أبداً ولا يمكن أن يقول اقرأ بهذا النغم طبق هذا النغم على هذه الآية، وهذه الآية بنغم كذا، فهذا لا يمكن ومن فعل هذا فهو مبتدع فالحذر الحذر، فبعض العلماء مثل الزيات يطبقونه أحياناً في بعض مجالسهم إذا أرادوا أن يطبقوها على غير القرآن على ألفاظ أو على كلام أو على أبيات شعر مثل ما ذكرت على بعض مواقع الإنترنت، أما قراءة القرآن أطالب الطالب إذا لم يستطع تلاوة القرآن أن يأخذ بنغم كذا أو مقام كذا فنكون هنا خالفنا المنهج والأصل في الإقراء.

أحد الحاضرين:

عِلْمُ الألحان هل هو مما يُجَمِّلُ الصوت أو مما يزيد الصوت الجميل جمالاً؟! فبعض الناس يخلط ويظن أن علم الألحان أنه وسيلة لجعل صاحبه- عديم جمال الصوت - ذا صوت جميل وإن كان غير ذلك، والواقع بأن أصحاب الألحان أكثرهم ممن أتاه الله صوتاً حسناً، ولذلك أبو موسى الأشعري ﷺ لما أثنى النبي ﷺ على قراءته قال: "لقد أُتيت" فلم يكن شيئاً مكتسباً وإنما هو هكذا خلقه الله بصوتٍ حسن، وبعضهم كما نقل ابن الجوزي ﷺ في تفسير قوله ﷻ: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ [فاطر:١] قال: الزيادة: الصوت الحسن، فصاحب الصوت الحسن هنا لعله يزيد تحبيراً لما يملكه في صوته من الجمال يزيده أحياناً في التفنن في جمال الألحان ولذلك نحن نشاهد في الحقيقة من أثر فينا بصوته، وصوته حسن لكنه في علم الألحان ليس بشيء، فلذلك نجد بعضهم عنده قوانين الألحان ولكنه عديم حسن الصوت فلذلك لا يمكن أن يضيف إلى صوته حسناً وجمالاً.

أجاب فضيلته: هذا يوافق ماقلناه:

الشيخ: عبد الله العماج:

نفهم أن هذا التقرير الذي تفضل به شيخنا -وفقه الله-، هل تَعَلُّمُ الألحان ممنوعاً ولا يجوز ويأثم من تعلمه؟ هذا أمر.

الأمر الآخر ظهرت ظاهرة عند بعض الأئمة كتطنين النونات والترعيد في المدود وأصحبت هذه الظاهرة شائعة حتى في قاعات الدراسة حتى أصبحت أمراً سائغ وأمراً جميلاً في القرآن! فنرغب من شيخنا الحديث حول هذه الظاهرة.

أجاب حفظه الله: تعلم الألحان (الغناء) لا يجوز، نحن نتحدث عن موضوع القراءة بالألحان هذا هو محور الحديث، أما موضوع الغناء مستقل هكذا من غير قراءة القرآن الكريم هذا له كلام آخر طبعاً، جمهور العلماء يمنعونه ويحرمونه والبعض يفصل: إن كان معه آلات موسيقية أو ليس معه آلات موسيقية وإن كانت في مناسبات معينة أو غير معينة لها تفصيل مشهور في هذا وأظن الشيخ سعد بن مطر العتيبي له رسالة صغيرة تكلم فيه عن حكم المعازف والألحان والمقامات وكذا، أما موضوع الترعيد والتطنين فنحن إذا أقررنا باب الألحان وفتحننا باب الموسيقى وربطه بالقرآن سيأتي ما هو أوسع من ذلك وأكثر؛فلهذا حماية القرآن من هذه الأشياء أمر مطلوب.

د. منصور بن محمد السميح:

في الحقيقة نشكر شيخنا الجليل فضيلة الدكتور إبراهيم الدوسري وهذه الجمعية العلمية المباركة التي نظمت هذا اللقاء المبارك نسأل الله -عز وجل- أن

يأجرهم ويجزيهم خير الجزاء، الحقيقة أنا سأخرج عن الموضوع لأن فضيلة الدكتور والإخوة والمشائخ أطروا من ناحية العلم الشرعي في التأصيل هذا أمر، ولكن في الحقيقة كنت أتمنى أن يكون هناك في المحاضرة اطراء لبعض الدول التي تعنى بهذا الفن في مثل هذه المسابقات العالمية، ذكر أحد الإخوة في طرحه أن هناك مسابقات عالمية تهتم بمثل القراءة بالألحان والمقامات الصوتية أو الموسيقية في بعض الأحيان فحسب علمي يعني أن هناك ماليزيا تهتم بهذا الأمر، وأنا قد شاركت هناك في زيارات وليس في المقامات لأني لا أعلمها فذكر لي بعض المسؤولين أنه يوجد في كل ولاية لديهم معهد متخصص في مثل هذه المقامات فهم يهتمون بها اهتمامًا كبيرًا ولذلك هم يفوزون في المسابقات التي تعنى بهذا الأمر، كذلك أندونيسيا يهتمون بهذا الأمر ومصر وإيران، الذي أطرحه إذا كان هناك دول تعنى بهذا الأمر، وأنا أتكلم من واقع عمل إداري ملموس نجد أننا لو منعنا نحن هنا في المملكة من المشاركة أو من الذهاب معهم لأصبح لدينا تشنج بين تلك الدول، فالذي أطرحه لفضيلة الدكتور هل بالإمكان أن يكون هناك؟ ما دورنا نحن ونحن في الوزارة "تشنج سياسي" قد يحصل، وهي كلمة قاسية لذلك يجدون أنفسهم في معزل والمملكة لا تعتني بهذا الفن ولا تهتم به الحقيقة أحببت أطرح هذا السؤال لفضيلة الشيخ وفق الله الجميع.

أجاب حفظه الله: فضيلة الدكتور منصور محمد السميح، أمين عام مسابقة القرآن الكريم شرف لنا، وأتحفنا بمداخلته القيمة وهو ممارس لهذه المسابقات وعارف لهذه الأحوال عن كثب وعن واقع فهو يتنقل بين البلدان، في الحقيقة ما

تفضلتم به مما يتعلق بموضوع أن هناك معاهد تُدرس وتُقريء وكذا ليس لهم سلف في هذا الأمر؛ سواء في مصر أو بلاد شرق آسيا في مصر فيما أعرف.. لا أعرف أن هناك معاهد تدرس الألحان على القرآن الكريم، هكذا لا أعرف، وما دام أنه أمر شرعي فلابد أن يستند على دليل وآتي بتلاميذ وأقرئهم بطريقة معينة وبنغم معين وأسلوب معين وربما شخص معين من الطلاب يلتزم بنغم معين ويجعل لكل طالب نغمًا معينًا، وأيضاً آفة أخرى أعتقد أنه ما دام أن الأمر شرعي وأن الأمر يتعلق بالدين ومعنى هذا أن علماءنا السابقين وأهل القرآن الحاليين والصحابة والتابعين أنهم كانوا جهلة في هذا الأمر -وحاشاهم عن ذلك- وهذا نقص عن مكانتهم وأن هؤلاء تعلموا في علم القرآن ما يفوق علم الصحابة وعلم التابعين، وهذا من الخطورة بمكان.

أما ما يتعلق بالتشنج فإن كان الالتزام بالدين يسمى تشنجاً فمرحباً به، وإن كان والحمد لله الذين يقال عنهم متشنجون هم الذين يفوزون ويحصدون جوائز المسابقات الدولية -كما يعرف- الدكتور السعوديون لا يتعلمون هذه المقامات ويتفقون في كثير من البلدان ليبيا، الكامرون، نجيريا، حتى في مسابقة مكة التي نُحَكِّمُ فيها أكثرهم ليس لديهم علم بهذا النغم وكثير ممن يخفقون يعلمون بهذه الجوانب فيؤثر على ضبط حفظهم ويؤثر على ضبط قواعد في الرواية وهذا ما نجده في بعض الدول التي سماها الدكتور منصور وهذا كثير في إيران وكثير في مصر وكثير في شرق آسيا ولهذا نجد قليلًا من يفوز، فهذا له أثر سلبي في الحقيقة على تصحيح القراءة وعلى ضبطها فلهذا أنا أعتقد أن فتح هذا الباب وخاصة لناشئة فيه شر وخطر عريض.

د. محمد:

أشكر فضيلة الدكتور إبراهيم على هذا اللقاء الطيب الماتع وهذه الفوائد المنتقاة وهو في الحقيقة من فرسان هذا الميدان، وقد أعجبني في اللقاء المنطلقات التي انطلق منها الشيخ وهي منطلقات الكبار بغض النظر، سواء اتفقنا بوجهة النظر أو اختلفنا إلا أن المنطلقات مما لا تؤثر فيهم أو لا يرضخون لضغوط الواقع ولا يتنازلون عن المبدأ أو الرأي إذا كان الإنسان مقتنعًا به، وله أصول ومستندات شرعية من أجل حاجة الناس أو رغبتهم، الذي أقترحه على فضيلة الدكتور تتميم الورقة، الجزء الثاني، ونحن لا نزال نطلب الجزء الثاني التطبيقي حتى يعرف المستمع ما هو الشيء الصحيح وما هو الشيء المحذور، فإذا قلنا هذا من التطريب الممنوع وهذا من التلحين الممنوع ومثاله كذا حتى لا يرتسم في أذهان الناشئة أن ما يقرأ به فلان من الأئمة أو القراء المعروفين، وهو من الممنوع، بينما هو في الحقيقة هو من المأذون به والجائز.

أقترح -أيضاً- إن رأى فضيلة الشيخ أن الورقة ما ذكر في أثنائها من المحترزات يفرد في عنصر مستقل أن القراءة بالتلحين لا بأس بها إلا إذا ورد فيها أحد هذه المحاذير التالية؛ أن يكون التلحين على النحو الفلاني.. أن يكون بالصيغة الفلانية..وهكذا فإن وجد فهذا ممنوع وإن لم يوجد فالأصل فيه الجواز.

قال فضيلته: فيبقى موضوع التعليم مشكلة، موضوع ربط القراءة بالألحان القرآن بالألحان هذه مشكلة كبيرة فإذا خرج الآن جيل يقرئ بهذه الطريقة ويكون عندهم هذه المبادئ هذه مصيبة.

الشيخ محمد: أنا لا أقصد هذا، إنما أقصد أنكم قلتم أنه يحمل الجواز على اللحن اليسير الذي يأتي غير متكلف، إذاً؛ الممنوع ما هو؟ إذا كان فيه النقاط التالية..

قال فضيلتة: دكتور في حقيقة الأمر "عفواً" مجرد ما تخرج الألحان المعروفة هذه وهو الالتزام بنغم معين وانتقالك من نغم إلى نغم بدون ضوابط معينة، خلاص، أن تكون كذا غير ملتزم باللحن يعني وإنما أتى على وجه المصادفة لا أكثر ولا أقل فلذلك هما خطان لا يمكن أن يجتمعان هذا الذي يظهر.

أحد الحاضرين: لي تعليق يسير وصغير على هذا الكلام أذكر أظن أن فضيلة الشيخ أن الالتزام بقواعد أصحاب الألحان يتعارض تماماً مع التزام بقواعد التجويد والتلقي والرواية وكثير من الإخوة يشير إلى مسألة أن يستفاد منها من غير الالتزام بها ما أمكن من الاستفادة من هذه الألحان وهذه المهارات الصوتية مع المحافظة على قواعد التجويد أتوقع هذا الذي...؟!

قال فضيلته: نعم، بدون أن يربط بالقرآن، ما أقول لطالب اقرأ آية كذا بنغم كذا بأسلوب كذا، هذه مشكلة لكن إذا كان الإنسان يتعلم النغم تعلماً خارجياً بالأشعار أو بالإنشاد وإن كان من خوارم المروءة فالأمر سهل؛ لكن ربطه بالقرآن صعب كون الإنسان يتصدر في هذا التعليم ويتعلم هذا النغم ويطالب به فلاشك أن هذا من الفسق وأنه يخرج الإنسان عن وقاره وعن مكانته خاصة ًإذا كان من أهل العلم فكون الإنسان يلاحق أهل الفن والمغنين ويلاحق المعاهد الموسيقية وأصحاب المقامات فأعتقد أن هذا إزراء بأهل القرآن.

وبعد أيها الأخوة فالحديث ذو شجون وفنون، وشيق والحديث عنه يطرب السمع، والحقيقة هناك الكثير من الأسئلة وردتنا، والوقت يضيق عنها ووردت أسئلة حتى من طريق الإنترنت حيث بث هذا اللقاء، ونعد الأخوة إن شـــاء الله أن نعرض هذه الأسئلة على فضيلته ثم يجيب عنها ثم تكتب في موقع الجمعية.

في الختام يطيب للجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومة "تبيان" أن تقدم درعاً تذكارياً لفضيلة الدكتور إبراهيم، تتميماً لجهده القيم ولاســـيما في نشر هذه الجمعية منذ تأسيسها، نسأل الله أن يشكر سعيه وأن يرفع درجته.

سبحانك الله وبحمدك نستغفرك ونتوب إليك.

اللقاء العلمي (٢)

تحقيق النصوص علم وفن

أ.د. أحمد محمد الخراط

الرياض

مغرب يوم الثلاثاء ٥ /١/ ١٤٣٢هـ

"تحقيق النصوص علم وفن"

للدكتور أحمد محمد الخراط مجموعة من المؤلفات التي أَثْـرَت الدراسـات القرآنية النحوية من أهمها: "الدُّر المصون في علوم الكتاب المكنـون" للسـمين الحلبي، وهو مطبوع ومحقق بتحقيق الدكتور في (١١) مجلداً، وهـو الإخـراج الرسمي أو الصحيح الوثيق لهذا الكتاب، وله تحقيق: "رصف المباني" للمـالقي و "النهاية لغريب الحديث" لابن الأثير في (١٢) مجلداً، والإتقان للسيوطي وقـد طبعه مجمع الملك فهد في (٧) مجلدات بالاشتراك، ودفع للطبع كذلك كتـاب "لطائف الإشارات" للقسطلاني، بالاشتراك في (١٠) مجلدات، وللدكتور أحمد كذلك: "معجم الإعلال والإبدال في القرآن الكريم"، و "جهـود سـيبويه في التفسير"، ومن مؤلفاته -أيضاً- "المجتبى في مشكل إعـراب القـرآن" في (٤) مجلدات، و "الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية"، و "منهج ابن الأثير في كتابه النهاية"، و"الهمزة في الإملاء العربي المشكلة والحل"، وله: "منهج البغدادي في تحقيق النصوص اللغوية"

أستاذنا الفاضل ومحاضرنا جاء من طيبة الطيبة، وحلّ بنا ضيفاً كريماً فحياه الله، وأظن من الصعوبة أن يختصر شيخنا هذا الموضوع فهو بحر، وموضـوعه بحر.

موضوع لقائنا هذه الليلة موضوع متخصص بالدرجة الأولى موجَّه للباحثين والباحثات المهتمين بالتحقيق بالدرجة الأولى.

موضوعنا: " تحقيق النصوص علم وفن"، وسيحدثنا د/ أحمد - جـزاه الله خيراً - من خلال خبرته التي قطعت أكثر من (٤٠) عاماً في تحقيق النصـوص، أسأل الله أن يجري على لسانه الخير.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أشكر الإخوة الزملاء في الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه هذه الدعوة الكريمة، ونسأل الله لهذه الجمعية التوفيق والسداد، ونرجو أن نكون دائماً عند حسن الظن، وأن نتعاون على البر والتقوى.

لا يخفى عليكم أيها الإخوة: أن تحقيق النصوص علم قائم برأسه، يحتاج دارسه إلى تدريبات متنوعة شاملة، كما يحتاج إلى الاطلاع على مخطوطات كثيرة، تمثل واقع المخطوط العربي قبل وُلُوجِه هذا الباب، ولا يخفى عليكم أن هذا الموضوع لا يمكن الإحاطة به خلال لقاء، أو لقاءين؛ لذا اتفقت مع الإخوة في الجمعية على أن أعرض تجربتي المتواضعة الممتدة خلال أربعين عاماً في مخطوطات تتصل بعلوم القرآن، وغريب الحديث واللغة العربية.

ففي مخطوطات علوم القرآن شاركت -بفضل الله- في تحقيق كتاب الإتقان للسيوطي، وقد صدر عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وطبع في (٧) أجزاء، وكذلك نعمل الآن في مركز الدراسات القرآنية، وأُبشر إخواني: بأنه انتهى تحقيقاً كتاب "لطائف الإشارات للقسطلاني " وسوف يكون في (١٠) مجلدات، وقد أنهينا تحقيق الكتاب كله، وبقيت بعض الاستدراكات، وهو الآن تحت الطبع.

كما عَمِلتُ في تحقيق نصوص غريب الحديث، وحققت كتاب (النهاية لابن الأثير) وسوف يكون في (١٢) مجلداً، وقد دفعته إلى الطباعة. وحققت في

علوم اللغة العربية (الدر المصون للحلبي) و(رصف المباني للمالقي).

وكما بذل السلف -رحمهم الله- في تراثنا العريق هذا الجهد العظيم؛ يلزمنا نحن الخلف أن نبذل جهداً مماثلاً؛ لإماطة اللثام عنه بإتقان، تحقيقه ونشره نشراً علمياً، ولا يخفى عليكم أن علم تحقيق النصوص علم إسلامي أصيل، وهو بكل تفاصيله من صناعة المسلمين، الذين طبقوا علمياً جوهره وروحه ومعالمه، ومن هنا فإننا لا نقبل مقولة: "أن المستشرقين بدؤوا في نشر التراث قبلنا؛ لأن الأمة كانت هاجعة وليس لديها المطابع" وأيضاً لا نقبل أبداً ما قاله الدكتور/ صلاح الدين المنجد عن دور المستشرقين، حيث قال: "نشر المستشرقون التراث متبعين نهجاً علمياً دقيقاً وكان على ناشري النصوص من العرب اتباع الطريقة العلمية التي يتبعها المستشرقون والاطلاع على قواعدهم واقتباسها".

وأضاف: "إنّ هذه القواعد التي نقدمها استقيناها من منهج المستشرقين الألمان"، ولا نقبل كذلك ما قاله الأستاذ عبد السلام هارون: "أن العلامة أحمد زكي كان أكبر وسيط عربي في نقل فن التحقيق عند المستشرقين"، حيث إن الشيخ هارون يرى أن فن التحقيق فن المستشرقين.

وأنا أجزم: أن سلفنا هم أصحاب هذا الفن من أوله إلى آخره، قد نستثني بعض الجوانب المستوحاة من روح العصر؛ لأن لكل عصر طرائقه ومعطياته وآلياته، وعلى كل حال أُحيل الإخوان إلى كتاب لي بعنوان "منهج البغدادي في تحقيق النصوص اللغوية" بيَّنتُ فيه طريقة تعامل هذا العَلَم مع فن التحقيق، وهو الفن الإسلامي الأصيل وأثبتُّ فيه صحة دعوايَّ في ذلك، وخلاصتها: أن

هذا الفن بكل تفاصيله المعروفة بالمتن والحواشي فن إسلامي أصيل.

أيها الإخوة: عندما نطالع غلاف كتاب تراثي يستوقفنا اختلاف المحققين في إثبات المصطلح المناسب لطبيعة عملهم في الكتاب الذي نهضوا به وخدموه.

باحث يقول: شرح وتحقيق فلان...ويضيف بعض الباحثين تعليق فلان... وبعضهم يقول: وتقديم فلان.... وبعضهم يقول: وقابله بأصوله فلان.. أو يقول: ضبطه وفهرسه، وغير ذلك من المصطلحات، التي تدخل ضمن مصطلح تحقيق؛ لأن تحقيق النصوص يعني إعدادها كما يريد مؤلفها، مع خدمتها.

وعلى هذا؛ أرى أن يكتفي العاملون بنشر التراث بمصطلح" تحقيق" على أن يتضمن نشرهم فعلاً ما سنشير إليه.

ومن الذين يتعاملون مع التراث اليوم فئة يَلَذُّ لها جني المال بالباطل والحرام؛ عن طريق سرقة أعمال المحققين، والعبث به لإضاعة جريمتهم، وهذه الفئة تقوم بالنشر المشوّه للتراث، ومن هؤلاء علَمَان عريقان، هما: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، واللذان أصدرا مئات -وضعوا خطاً تحت كلمة مئات- مئات المجلدات التراثية في وقت محدود لا يتجاوز (١٥) سنة عن طريق دار الكتب العلمية في بيروت.

ومن خلال نظرة سريعة إلى نصوص أي مكتبة من المكتبات تجد نماذج من منشوراتهم المشوهة، والحقيقة أنا أقترح على زملائي في كلية أصول الدين أن يعهدوا إلى أحد الباحثين برسالة دكتوراه بعنوان: (دار الكتب العلمية وعملها في تشويه التراث).

مما أصدروه بنظرة سريعة:

" تلخيص الحبير " (٤) مجلدات، " البحر المحيط " (٩) مجلدات، " الدر المصون " (٨) مجلدات، " اللباب " (٢٠) مجلداً، " الكشاف " (٦) مجلدات، " مغني المحتاج " (٦) مجلدات، " روضة الطالبين " (٨) مجلدات، " الكامل في الضعفاء " (٨) مجلدات..الخ..

وأُحيل طلبة العلم على مقالتي في آخر المجلد (١١) من الدر المصون بعنوان: (سلامٌ على التراث) وقد بينت فيها سطوهم على كتاب " الدر ".

أيها الزملاء أعضاء هيئة التدريس، أيها الأبناء طلبة الدراسات العليا: مدارس التحقيق ثلاث مدارس:

أولاً: مدرسة التفصيل المنتشر في التعليقات والحواشي:

يمثلها الشيخ: محمد عبد الخالق عُضيمة في تحقيقه لكتاب "المبرد المقتضب" فقد تحول الكتاب بين يديه إلى ثلاثة مجلدات، وهو في الأصل كتاب صغير محدود الصفحات. وكذلك من هذه المدرسة الدكتور. رمضان عبد التواب في كثير من تحقيقاته المخطوطة الصغيرة تتحول إلى كتاب من مائة أو مائتي صفحة.

ثانياً: مدرسة الاختصار:

وهي تقدم النص وتكتفي بذلك، ويمثلها الدكتور/ محمود الطناحي في تحقيق كتاب "النهاية في غريب الحديث"؛ لأنه كان يسجل تحقيقاً موجزاً في سطرٍ أو سطرين كل (١٠) صفحات تقريباً.

ثالثاً: أما المدرسة التي ندعو لها فهي مدرسة التوسط:

التوسط بين التفصيل والإيجاز، وهذا الذي ندعو له، وسنبين معالمه من خلال هذا اللقاء المبارك.

أمَّا مراحل التحقيق أيها الإخوان فتبدأ بمرحلة مهمة وهي:

أولاً: مرحلة ما قبل الشروع في التحقيق:

أنت -الآن- طالب في الدراسات العليا مرحلة الماجستير أو مرحلة الدكتوراه، عزمتَ على التحقيق، وستبدأ بالخطوة الأولى في هذه المرحلة؛ فينبغي أن تتعرف على أهمية المخطوط الذي عزمت عليه، هل هو مخطوط يقدم إلى العلم جديداً؟ هل صاحبه ذو قدم راسخة في هذا العلم؟ نود في هذه المرحلة الاهتمام بهذا العنصر؛ لأن تراثنا عريق، والمؤلفات فيه كثيرة؛ فاختيارك ينبغي أن يقع على مخطوط ذي بال له قيمته.

ثانياً: ما أماكن وجود المخطوط؟

ليكن لديك مذكره خاصة، تسجل فيها هذه الأماكن، نقلت معلومة من مخطوط وهذا المخطوط متوفر في تركيا، مصر، المملكة، في مكتبة عارف حكمت. فسجل هذه المعلومات بالتفصيل.

ثالثاً:هل سبق تحقيق هذا الكتاب؟

وهي قضية مهمة، ويتساهل بعض الإخوان فيها.

فيا أخي أنت ستبذل من عمرك سنتين، (٣) سنوات، (٤)سنوات أحياناً (٥) سنوات.

يا أخي إذا كان هذا الكتاب قد حُقق تحقيقاً علمياً ممتازاً في جامعة الأزهر مثلاً، في جامعة دمشق...فحاول أن تصل إلى هذا التحقيق، وتتعرف بنفسك على معالمه، وجهد محققه؛ لأن عملك هذا لن يكون ذا قيمة عند الباحثين، الذين يقولون إذا سمعوا عنك قد حققه فلان قبلك؛ فلماذا تسمع هذه الكلمة وأنت رجل تريد أن تعمل، تريد أن تخدم هذا التراث، ولماذا لا توجه جهدك إلى مخطوط لم يسبق نشره، أو نشر على نحوٍ مشوّه؟

إن الخدمة العلمية التي سبقتك لكتاب ما، تجعلك تعزف عنه حتى تستثمر جهدك في عمل آخر.

ولا تستطيع أن تستقر فعلياً علمياً على تحقيق هذا المخطوط بعد أن تكون قد تعرفت على إجابة عن هذه العناصر الثلاثة إلا بأن تصل إلى نسخه واحدة على الأقل من هذا المخطوط؛ لتطّلع بنفسك على أبوابه، ومادته؛ فتطمئن على أهميته.

والقاعدة العامة في رسائل الماجستير والدكتوراه أنه يُفضّل ألا يكون الكتاب كبيراً، حتى نضمن توحيد منهج تحقيقه، ونُنهيه في الوقت المتاح.

ولكن مع ذلك أنا لا أشدد على هذا الشرط؛ لأن كثيراً من تراثنا ضخم، وما أحد يُقدم عليه لطوله، فما أتشدد كثيراً في مسألة تقسيم الكتاب بين عدة محققين، وعدة أقسام، وعدة جهود، ولكن تحت إشراف واحد؛ من أجل توحيد المنهج على قدر الإمكان.

فإن توجهت - أخي الباحث - إلى مخطوط معين، أو عنوان معين فانظر

في الفهارس؛ لأن حصولك على أكبر قدر من مخطوطات هذا الكتاب يصب في مصلحتك، ما رأيك أن تتعب سنتين أو ثلاث سنوات، وأنت تكافح.!! والإخوان الذين يعملون بالمخطوطات المليئة بالتصحيف والتحريف يعلمون تماماً المعاناة الشديدة التي يبذلها المحقق لفكّ خط الكتاب ومعرفة أخطائه الكثيرة.

إنّ اهتداءك للمخطوطة الجيدة في هذه المرحلة من مصلحة الكتاب ويريحك كثيراً؛ لأن هذا التصحيف والتحريف ليس له حلّ إلا بجهد جبّار، ولا يعرف الشوق إلا من يكابده.

إخواننا وزملاؤنا في فن التحقيق الذين لهم قدمٌ راسخة يعلمون تعب المخطوطات ذات التصحيف والتحريف. فإذا علمت بوجود هذه المخطوطة في الشرق أو في الغرب فليكن همّك وما يُؤرقك هو الوصول إلى هذه المخطوطة بأي ثمن كان.

فإذن ابدأ بحصر أمكنة المخطوطة، وتفيدك الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، وفهارس مخطوطات المكتبات، وهي فهارس كثيرة.

وقد صدر عن مؤسسة آل البيت في الأردن كتاب جيد يحصر المخطوطات الإسلامية العربية، وهو الفهرس الشامل، وأنصح إخواني بالإفادة منه.

كما أن من المصادر سؤال مركز الملك فيصل بالرياض، وسؤال أهل العلم، وكتاب بروكلمان.

وسجل في دفترك أية معلومة تسمعها وتتلقفها من الشرق أو الغرب من هنا أوهناك حول معلومات مخطوطات هذا الكتاب، ولا تحكم على الوصول إلى

المخطوط بالاستحالة، بل ابذل جهدك؛ لأن حيازة مخطوط عزمت على تحقيقه أمر في غاية الأهمية.

وهذه المرحلة من حياتك العلمية مفعمة بالمفاجآت والإحباط والهموم، فقد تجد كتاباً لفلان في الفهارس المطبوعة، ولا تجد اسم هذا الكتاب فيمن ترجم للمؤلف، فالأمر إذن يحتاج منك إلى تمحيص؛ لأن الأوهام في هذه الفهارس كثيرة، فقد تبدأ تشتغل وبعده يتبين لك أنّ الأمر على خلاف ما كنت تظن.

ويلزمك أن تدقق في فهارس المخطوطات التي عُرف عنوانها وفُقِد اسم مؤلفها، وهو ما يعرف في علم التحقيق بـ (المجاهيل)، وكم عندنا من مخطوطة مسجل عليها العنوان ولكن صاحبها مجهول أو مسجل اسم صاحبها ولكن عنوانها مجهول أو ليس لها عنوان، وليس لها اسم مؤلف، ومن هذه المجاهيل الكثير، ولنا تجربة في مجمع الملك فهد، فقد وصلتنا مخطوطات الكثير منها من المجاهيل فاستطعنا – بحمد الله – نسبتها إلى مؤلفيها، وهي قضية تخصصية تحتاج إلى علم وتدقيق وفن معين.

فأريد أقول إنّ هذه المجاهيل فيها كنوز كثيرة، ففي مكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة، استطاع المفهرسون والعاملون نسبة كثير من المجاهيل إلى أصحابها، وهذه المجاهيل أمر واسع، وباب عريض يدركها كثير من منظمي الفهارس.

وينبغي أن يدقق معي إخواني في فهم هذه القضية فلا تُؤخذ معلومات الفهارس على أنها نهائية، فإن كثيراً من منظمي الفهارس جهلة؛ فيخطئون في

بياناتهم.

وإذا عزمت على الذهاب إلى مكان فيه مخطوطات تهمك؛ فحاول أن تنقب بنفسك، ولقد عثرتُ على مخطوطة "الدر المصون" في مكتبة شهيد علي باشا في تركيا بخط المؤلف كاملة، وليس لها ذكر في الفهارس، فاسترخص الغالي والنفيس في مرحلة الوصول إلى هذه المخطوطات التي تهمك.... ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر.

وأنت ما تزال في مرحلة ما قبل التحقيق، لا يخدعنك ما كُتب على غلاف المخطوط من عنوان للكتاب أو اسم للمؤلف؛ فقد يكون هذا من عبث النُسّاخ، وأذكر أنني سجلت في مرحلة الدكتوراه في جامعة القاهرة سنة(١٣٩٣) هـ مخطوطة لنيل درجة الدكتوراه سُجل عليها هذا العنوان: **إعراب القرآن للحريري.**

وكان هذا الطالب حريصاً على أن تكون أطروحته لنيل الدكتوراه شيئاً من إعراب القرآن، ففرحت بها فرحاً كثيراً، سجلتها فعلاً مخطوطة فريدة، ومضيت في التحقيق ما يقرب من السبعة أشهر، وأنا معتقد كل الاعتقاد أن المخطوطة لصاحب المقامات القاسم بن علي المتوفى سنة (٥١٦) هـ.

ثم كانت المفاجأة تبين لي أن هذه النسبة لصاحب المقامات غير صحيحة؛ لأنه نقل في الكتاب قولاً لعبد الله بن الحسين العُكبري صاحب الإعراب المشهور المتوفى سنة (٦١٦) هـ ! ! فما رأيكم؟؟ رجل يتوفى من مائة سنة القاسم بن علي ينقل عن رجل بعده، فجزمت أن نسبته للحريري صاحب

المقامات فيها نظر، فمضيت أبحث عن(حريري) آخر، لأن المشكلة أنها مسجلة باسم الحريري، فقلت لعله لحريري آخر، وبحثت وبحثت، ثم رجحت أنه قد يكون لحريري ولكن مجهول؛ لأنني عملت قائمة بكلمة (الحريري) ومضيت شهوراً طويلة أبحث في كتب التراجم عن هؤلاء، وتبين لي بعد ذلك أن العلماء المعروفين بالحريري منهم الزنديق علي بن الحسين، ولكن هذا لا يمكن أن يؤلف كتاباً في إعراب القرآن، ومنهم الشاعر محمد بن علي الحريري وكذلك لا أذكر أبداً أن له كتاباً في إعراب القرآن.

وأنا بين حيص وبيص ألغيتُ التسجيل كله، لأني ما أحببت أن أسجل رسالة لكتاب لا أجزم في اسم مؤلفه؛ فتكون غصة أن صاحب الكتاب رجل مجهول، أو النسبة في تأليفه للكتاب فيها شك.

موضوع رسالة الماجستير أو الدكتوراه يجب أن يكونا لعلماء معروفين، أما أن تكون الرسالة لرجل مجهول، أو لرجل مشكوك في نسبة الكتاب إليه، هذا أمر لا أميل إليه؛ فألغيت التسجيل وضاعت مني سنة كاملة؛ لأنه يعز علي أن يكون موضوع رسالتي تحقيقاً لعلم مجهول.

نعود إلى موضوعنا في مرحلة فحص المخطوطات ولا يخدعنك التاريخ المسجل على المخطوطة؛ لأن بعض الناسخين ينقلون التاريخ المسجل على النسخة التي ينقلون منها لغرضٍ ما.

فربما ناسخ نفترض أنه من القرن العاشر ينقل من مخطوطة في القرن الخامس، فينقل المخطوطة من أولها إلى آخرها حتى تاريخها القديم الأصلي، فلا يخدعنك

هذا التاريخ، وانتبه.

ولا يخدعنك جمال خط النسخة، أجمل مخطوطات الدر المصون آية في الخط مودعة في مكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة، هي آية في جمال الخط، وآية في التصحيف والتحريف والسّقَط، ما رأيكم كاتبها فنان، كأن أمامنا لوحة فنية في جمال الخط وروعته، ولكن السطر الواحد لا يخلو من ثلاثة أخطاء، أربعة أخطاء مع سقَط، فلا يخدعنك جمال الخط.

ولا تخدعنك آثار الأرضة والخروم، فتقول المخطوطة قديمة، بدليل وجود آثار للأرضة والخروم. فمخطوطات من القرن الحادي عشر والثاني عشر رأيناها في مكتبة عارف حكمت مليئة بآثار الأرضة وبالمقابل مخطوطات من القرن الرابع والخامس ليس عليها أية آثار للأرضة؛ فليست الأرضة دليلاً على قِدم المخطوط.

وانتبه كذلك لتعدد الخطوط، بعض مالكي النسخة يلاحظون أن نسخة (١٠) صفحات، وأخرى (٢٠) صفحة من المخطوطة فيظن الرجل الجاهل الأولى ناقصة وينقل من المخطوطة الثانية والتي قد يكون فيها أخطاء كثيرة.

فقد تكون الأوراق مجلدة على غير هدى، فمثلاً: مخطوطة "رصف المباني" كانت مجلدة، والأوراق قبل التجليد كانت مبعثرة بعثرة كبيرة، السبب في ذلك أن هذه المخطوطة عندما عثروا عليها في المرة الأولى وأرادوا أن يجلدوها، فجلدها من لا يحسن التجليد؛ فصفحة (٧) صارت عنده صفحة (٢٠٠) وصفحة (٥) صارت عنده صفحة(٥٦) وهكذا.. فلا يخدعنك التجليد الحالي

وترتيب الأوراق الحالي في المخطوطة.

وقد تُفاجأ وأنت تقرأ في ثنايا المخطوطة بسماعٍ للمؤلف. أمرٌ لم تشر إليه فهارس المخطوطات، ما قال أحدٌ في الفهارس إن هذه المخطوطة عليها سماع في صفحة كذا.. أنت تُفاجأ بأن مؤلف الكتاب مثلاً السيوطي، أو القسطلاني، أوغيرهم – رحمهم الله جميعاً – له سماع في الصفحة العاشرة، في الصفحة العشرين، قد تجد إشارةٍ ما بأن هذه المخطوطة بخط المصنف، قد تجد إشارةٍ ما بأن المخطوطة قرأها عالم من العلماء.

وقد تُسّر من توافر أربع نسخ، خمس نسخ للمخطوط، ولكن يتبين لك أن المخطوطة ب /ج/د/هـ كلها منقولة من"أ" فأنت في الحقيقة عثرت على مخطوطة واحدة نسخة واحدة وهذا أمر كثير. المخطوطة التركية مثلاً كانت في الأصل إلى جانب المخطوطة المصرية، فالناسخ التركي نقل من الناسخ المصري، فتسر كثيراً لأن نفس الأخطاء راح ينقلها نفس التصحيفات راح ينقلها، فلا تُعوّل عليها كثيراً لأن كل ما جمعته عبارة عن مخطوطة واحدة.

أخي الكريم إنّ النسخة العتيقة التي عليها شيء من التوثيق والسماع والإجازات أمر في غاية النفاسة؛ فاحرص على الوصول إليها كل الحرص؛ لأن عملك في المستقبل سوف يكون ناقصاً، مثلاً: الدكتور. رمضان عبد التواب شنّ هجوماً كبيراً على الدكتور: إبراهيم السامرائي لأنه حقق رسالة أبي موسى الحامد في المذكر والمؤنث واعتمد على نسختين متأخرتين، وغفل عن نسخة الأسكوريال التي هي بخط الإمام الجواليقي، لا تقل يا أخي: كيف أصل

للأسكوريال؟ فالآن – الحمد لله – الأمور ميسرة تيسيراً كبيراً أكثر من أيامنا في مرحلة الطلب، ففي أيامنا كان هناك صعوبة كبيرة، وكانوا يواجهوننا بما يشبه التعجيز، فعندما سافرت إلى تركيا، وطلبت تصوير مخطوطة " الدر المصون " في مكتبة شهيد علي باشا، قال لي مدير المكتبة: نحن ما عندنا تصوير عندنا تبادل.

أعطني مخطوطة ليس لها وجود في تركيا وأنا أعطيك هذه المخطوطة يعني صورتها.

تصوروا هذا التعجيز! أنا طالب العلم البسيط المتواضع كيف أحضر لك مخطوطة ليست متوافرة في مكتبات تركيا حتى تبادلني؟ سبحان الله !!

يجبرون طالب العلم على التحايل وسلوك الطرق الملتوية، حاولت خلال أيام طويلة، وما استجاب لي إلا بشق الأنفس.

أيها الإخوان: هذه المرحلة تسمى مرحلة جمع نسخ المخطوط، ثم تدخل مرحلة جديدة اسمها: مرحلة فحص النسخ التي جمعتها، وهذه المرحلة يُعلق عليها سؤال عريض:

ما المنهج الذي ستعمل عليه؟ هل هو منهج تحقيق النصوص؟

هل ستشتغل في التحقيق على منهج تحقيق المخطوطة وفق منهج الأم؟ أو ستحقق المخطوطة على طريقة التلفيق أو التوفيق؟

بعض من إخواننا يفزع من كلمة التلفيق، وينحو بمعناها منحىً عصرياً بأن التلفيق كله كذب وافتراء وبهتان. والصواب اشتقاق اللفظ من لفق الخياط الثوب إذا جمع مادته وخاطها. مما يعني أن كلمة التلفيق ليس فيها شيء معيب،

بل تعني: أن يجمع المؤلف النص الذي يريده من مجموع النسخ للوصول إلى النص النهائي.

معنى منهج الأم:

منهج الأم: أن تثبت ما في نسخة الأم كاملاً من أول الكتاب إلى آخره؛ لأن هذه النسخة كتبها عالم، أو المؤلف نفسه، أو قُرئت على عالم، أو قُرئت على المؤلف، أو نُقلت من مخطوطة المؤلف، أو نسخة كانت في عصر المؤلف يعني لها قيمتها.

وينبغي أن تكون في هذه المرحلة كـ (مُدرّس) و معنى مدرس أي: يعمل كمصحح يصحح أوراق الامتحان، ويضع درجات لكل ورقه، فنسخة"أ" القِدم له درجته، والناسخ له درجته، التصحيف والتحريف والسقط له درجته، الإجازة والسماع له درجته، الخروم لها درجتها، في النهاية كم حصلت نسخة"أ" حصلت على٦٠% ونسخة "ب" حصلت على٤٠% ونسخة"ج" حصلت على ٩٠% فأنت الآن تسلك مسلك مدرس يعطي درجه لكل نسخة.

وينبغي أن لا تدخل في غمار هذه المرحلة إلا بعد استشارة المشرف وأهل العلم.

وأنت تعمل على التمرس في التحقيق بقراءة النسخة تلو النسخة حتى تصل إلى قرار حاسم يخص الاختيار الذي سوف تستقر عليه، هل هو الوصول إلى النص عن طريق إثبات الأم، أو الإفادة من مجموعة المخطوطات بالتلفيق؟ فينبغي أن لا تتعجل الاختيار لأحد المنهجين، فما رأيك أنك تختار نسخة – معتبراً لها

– الأم وتعكف تشتغل عليها، ثم يتبين لك أن هذه النسخة ضعيفة، ولا تستحق أن ترتقي إلى درجة الأم، وهذه الدرجة العليا (الأم) التي أعطيتها لا تستحقها؛ بسبب ما فيها من التصحيف والتحريف والسقط وسوء الضبط النحوي، ولكنك خُدعت بكلام الناسخ الذي أوهمك أنها منقولة من نسخة المؤلف.

ناقشت مرة رسالة في جامعة من الجامعات، فتبين لي أن الرجل يعتمد على نسخة جعلها الأم، وهي كثيرة التحريف والتصحيف والسقط، فاعترضنا عليه في المناقشة: ما الذي جعلك تعطيها هذه الدرجة العالية؟ كلمة الأم ليست كلمةً سهلةً؛ لأنه سيعوّل عليها، فإذا كانت كثيرة السقط والتحريف والتصحيف والخروم فلماذا أعطيتها هذه الدرجة؟

وكذلك العكس، بعض إخواننا نناقش رسائلهم فيكون أمامنا نسخة من النسخ الممتازة، ومع ذلك يلجأ إلى قضية التلفيق فيكثر عنده الأوهام والاجتهادات والاختيارات، مع أنَّ أمامه كترًا وفيرًا أضاعه وتغافل عنه؛ لأنه فرح بتوافر أربع نسخ بين يديه من الكتاب، مع أن نسخة "ب" مثلاً، هي: جَهيزَة التي قطعت قول كل خطيب.

أثبتَّ (عز وجل) في المتن، ونقرأ في الحاشية (ب: جل وعز)، أستحلفك بالله هل يسوغ وأنت – الآن – قارئ تقرأ في مخطوطة، أن تقطع تسلسل تفكيرك، وتنزل إلى الحاشية بدون أن يكون هناك شيء له جدواه، فما الفرق بين (جل وعز) و(عز وجل) أو(قال تعالى) أو (قال الله تعالى)؟ لا تشغل نفسك في هذه الاختلافات، اختلافات النسخ التي لها قيمتها اعرضها أمام طلبة العلم،

وقل لهم: أنا اخترت في المتن كذا وكذا، وفي الحاشية أثبت اختلافات النسخ ذات البال، ذات الجدوى، ذات القيمة، ولا تثقل الحواشي بأشياء لا طائل من ورائها.

نحن مثلاً في تحقيقنا على " لطائف الإشارات " في حوزتنا الآن (١٤) نسخة، والكتاب كبير، و الاختلافات بين النسخ بحر لا ساحل له، فإذا أردنا أن نثبت كل شيء صار الكتاب (٥٠) مجلداً، وفيه أشياء لا طائل من ورائها. عبث النسّاخ هذا أمر مشهور في مخطوطاتنا، ٨٠% من المخطوطات العربية الإسلامية كتبها نسّاخ محترفون ليسوا بأهل العلم، وما أكثر أخطاءهم وجهلهم؛ فأنت أيها المحقق أثبت الاختلافات ذات الشأن، المحتملة لما يقولون: ما هو في الحاشية أجود مما هو في المتن وهكذا.

وكما قلت لكم إن المخطوطات القديمة في الأمور الطبيعية العادية مخطوطات ذات شأن، و ذلك لقلة التحريف والتصحيف فيها؛ لقربها من عصر المؤلف، المؤلف مثلاً في سنة (٦١٠) و المخطوطة هذه في سنة (٦١٥) فالتغييرات التي طرأت على النص تغييرات بسيطة؛ لقرب هذه المخطوطة من عصر المؤلف، ومع ذلك قد تأتيك مخطوطة وهي في القرن العاشر، أجود منها، والسبب في ذلك أن النسخة القريبة من المؤلف ابتليت بناسخ جائر فملأها تحريفاً وتصحيفاً، أما النسخة التي تنتمي إلى القرن العاشر فقد قرأها أحد العلماء، فالقِدم له أهميته و قيمته، ولكن لا تعوّل عليه كثيراً.

والأصل أن النسخة المهمة هي النسخة الأم، وهي التي كتبها عالم، وهنا

نقف قليلاً **ما معنى كلمة كتبها عالم؟**

أي: النسخ التي كتبها رجل علم، أو تلميذ المؤلف، أو رجل له مصنفاته، وذلك لأنه من أهل الفن، فيكتب بعلم، وبفهم، ولا ينتقل نظره، فالتصحيف والتحريف عنده أمر بغاية الندرة، ومع ذلك ينبغي للمحقق أن يكون منتبهاً، كثير من الأوهام مرت بنا ونحن نحقق الدر المصون والمخطوطة بخط السمين الحلبي، كثير من الأوهام مرت بنا أثناء تحقيقنا للإتقان، مع أن المخطوطة التي نشتغل عليها قرأها السيوطي، وكتبها تلميذ السيوطي، والمخطوطة التي أهيناها في المجمع " لطائف الإشارات لفنون القراءات " عندنا نسختان عليهما سماع المؤلف، ومع ذلك نجد أوهاماً، فيا أيها المحقق: لا تكن مغفلاً، أنت طالب علم، فعندما تذكر معلومة ما، اعرضها على كتب العلم، استشر إخوانك، لا تأخذ القضية المأخذ النهائي، ولو كانت قد كتبها عالم، فإذا كان الوهم واضحاً ١٠٠% لا يمنع من انتقالك إلى النسخ الأخرى؛ وذلك لأن هذه النسخ الأخرى قد تكون منقولة عن النسخة الثانية للمؤلف، كثير من المؤلفين يكتبون نسخهم مرتين، ثلاث مرات، وأنت الذي وصلت إليك المخطوطة المسوّدة، صحيح أنها قُرئت على المؤلف وبخط المؤلف، وكتبها تلميذ المؤلف، وعليها السماع وعليها وعليها، ولكن هذه الأوهام التي حسمت الأمر فيها تجعلك تنتقل في الاختيار إلى ما في "د" فتضعه في المتن وتشير في الحاشية إلى تصرفك، وهذا يا إخواني في غاية الندرة.

كما ينبغي أن تكون على حذر شديد؛ لأن هذا الرجل العالم الذي تنتمي له

المخطوطة التي بين يديك، إما بخط يده أو مقروءة عليه أو بخط تلميذه أو عليها سماعه.

وعملية الاختيار من النسخ الأخرى، وترك ما في الأم وارد في عالم المخطوطات ويكون آخر الدواء.

المخطوطات النفيسة التي حققناها وجدنا عليها أوهاماً كثيرةً، مثلاً في: "لطائف الإشارات" عندما يدرس رواية المطوعي عن ابن محيصن كثير من الأمثلة وصلنا إلى قرار وهو: أن كلمة "غير" سقطت، والصواب "غير المطوعي"، وأمامنا في جميع المخطوطات يقول"والمطوعي"، ولا شك أن كلمة"غير" هنا كلمة جوهرية لابد منها تقلب المسألة رأساً على عقب، وهي مثبتة في كتب القراءات، ولكن هذا الناسخ أسقطها، مع أن النسخة عليها سماع المؤلف، فلا تقل: عليها سماع المؤلف، وتكون كآلة تنسخ، وتكتب بحجة أن عليها سماع المؤلف، فالنسخ التي عليها سماع المؤلف ليست حجة، فبيننا وبين المؤلف كتب العلم، وكتب العلم متوافرة وكتب القراءات، وكتب القراءات الشاذة على أن المقصود "غير المطوعي" قرأ ذلك عن ابن محيصن، فضع كلمة "غير" بين معقوفين، وقل: زيادة ضرورية وتعلل هذا الاختيار.

أنت يا أخي تنشد الصحيح التام المضبوط، فإذا وجدت ضبطاً لغوياً في نسختك لفعل من الأفعال عين الفعل مضبوطة بالكسر ومراجع اللغة تقول بالفتح فلا تثبت الخطأ، بل أثبت الصحيح، وعلِّق في الحاشية أني وجدت بالأصل كذا وكذا، فالضبط هذا ليس أمراً ثابتاً، نمشي فيه مع المؤلف، ليس ثمة

مانع إذا كان المؤلف قد اختار اللغة الثانية نبقي على هذا الاختيار، إذا نصت كتب اللغة على أن هناك ضبطين للفعل، فنأخذ ضبط المؤلف، ولو كان مرجوحاً يعني له وجهه، أما إذا لم يكن لهذا الضبط أي وجه، فلماذا تختار الخطأ وتثبته في المتن؟ أنت لا تضمن أن كل الناس وكل طلاب العلم سيقرؤون هذه الحواشي، فقد يكتفون بالمتن في هذا السطر، فتكون أنت ضللتهم بحجة أن هذا الضبط هو ضبط المؤلف، لا، يا أخي، أنت رجل وهو رجل فبينك وبينه المراجع العلمية.

يجب أن تدرك موضوع مصطلح الناسخ في الاختصارات، كثير من النسّاخ يسيرون على طريقة الاختصارات، فيجب أن تتمرس بخط المخطوطة تمرساً كبيراً، تقرؤها مرةً مرتين؛ لتعرف كيف يكتب التشديد؟! كيف يكتب الميم؟! كيف؟ كيف؟ حتى تصل إلى صفة الخط عند هذا المؤلف، كذلك موضوع الزيادات، مخطوطة " الدر المصون " التي عملت عليها بخط المؤلف كانت مسوّدةً له، فيكتب إضافات كثيرة إلى الحواشي، يا ترى هذه الزيادة أين أضعها؟ انظر في المخطوطات الأخرى هذا الناسخ يضعها هنا و هذا هنا! اضطربت المسألة، فأنت الآن الفيصل وأنت الحكم، فانظر في كتب العلم، هذه الزيادة مثلاً أخذها السمين من أبي حيان فانظر أبا حيان أين وضعها! أو كتبها من عنده، أخذها السمين من المحرر الوجيز أو كتبها من عنده تعرف أنت أين مكانها الصحيح؛ لأن كثيراً من هؤلاء العلماء لا يضعون إشارة لمحل الزيادة، فأنت تحار أين تضع هذه الزيادة؟ بالعودة إلى كتب المؤلف الأخرى، فللمؤلف

كتاب آخر في التفسير فهذه العودة تفيدك كثيراً في معرفة عَلَم مخطوطتك وألفاظها، بالعودة إلى كتب الفن، فإذا كانت مخطوطتك مثلاً في الناسخ والمنسوخ تضع أمامك كتب الناسخ والمنسوخ حتى تستأنس بها؛ لأن المؤلفين يستفيد الواحد منهم من الآخر، بعضهم من بعض، فلا تكن حجراً صلباً لا يتحرك عن مخطوطته فهذا خطأ، وخطأ كبير، بل ينبغي أن تكون مرناً، و أن تضع الاحتمال الكبير للخطأ في كل مرحلة من مراحلك.

ثم هناك خطأ كبير يقع فيه كثير من إخواننا طلبة الدراسات العليا، وهو عندما يقف على مخطوطة الأم يزهد في مقابلتها بالنسخ الأخرى، فلم تَعُد تهمه هذه المخطوطات مكتفياً بالأم، وهذا خطير؛ لأنك عندما تنسخ هذه المخطوطة عن تلميذ المؤلف قد تكتب هذه الكلمة كتابةً خاطئةً، وعليه، ينبغي أن تقوم بعملية المقابلة بين النسخ حتى لو كان منهجك منهج الأم، فطابق بين النسخ وإن كان في المحصلة النهائية لن تثبت من هذه المقابلات سوى ٥%، ولكن في المرحلة الأولى يجب أن يكون أمامك المقابلات كاملة عن النسخ الأخرى؛ لأنك قد تَهِمُ، وقد تخطئ في قراءة كلمة معينة فهذه المقابلة مع النسخ الأخرى تصحح لك الكثير، وفعلاً خط الإمام البشتكي الذي كتب الدر المصون أفادني كثيراً في فهم كثير من خط السمين؛ فخط السمين سيئ، وكثير من الكلمات مكتوبة من غير ترقيم، وبخط رديء.

فلا تغتر بقراءتك، وقابل هذه المخطوطة على جميع المخطوطات الأخرى، وفي النهاية ازهد في عدد النسخ والنساخ؛ لأن المؤلف أمامك نسخته المقابلة

على بقية النسخ.

الشيخ محمود شاكر مثلاً، أو الشيخ عبد العزيز الميمني، وعبد السلام هارون وغيرهم من المحققين الكبار كانوا لا يثبتون في تحقيقاتهم إلا النـــــزر اليسير من اختلافات النسخ، هذا حتى في التنسيق نحن نقول لطلاب الدراسات العليا جل الاختلافات ذات الشأن أثبتها في الحاشية، أما إذا كانت مخطوطتك أمَّا فلا تثبت بالحاشية غير ٥%، ١٠% و ذلك حتى لا تتعب القارئ بأن ينقّـــل نظـــره إلى أشياء لا قيمة لها.

أما النسخة الفريدة اليتيمة، فهي بلاءٌ عظيم، "رصف المباني في حـــروف المعاني " للمالقي كانت نسخته فريدة، والطامة الثانيـــة أنهـــا كانـــت مليئـــة بالتصحيف والتحريف والسقط وهي موضوع رسالتي في الماجستير، فتعبت تعباً شديداً في الوصول إلى نسخة ثانية و يئست، فانتبهوا – يا إخوان – النســـخة الفريدة لا تسجلوها إلا في أضيق نطاق؛ لأنها غدارة؛ فإنك لســـت بمـــأمن، فيمكن أن تغدر بك بأي صفحة، فتلاحظ أن المعنى غير مستقيم؛ لذلك كنـــت أعد النصوص التي نقلها المالقي من غيره أو غير المالقي نقل منه نسخةً ثانيـــةً، ومن توفيق الله– عز وجل – أنَّ هذا كان وارداً كثيراً في " رصف المباني " وفي كتاب آخر هو "الجنى الداني في حروف المعاني " لابن أم قاسم المـــرادي بعـــد المالقي بـــ٥٠سنة، نقل من رصف المباني أكثر من (٥٠) موضعاً فكان أميناً في النقل، غير أنَّ ابن هشام في "المغني" ينقل من غير أن يذكر اسم المـــالقي، أمـــا المرادي فكنت أعد نقله بمنزلة النسخة الثانية من "رصـــف المبـــاني " وفعـــلاً

صححتُ كثيراً من النصوص بناءً على ما قاله في " الجنى الداني " وفي تلك الأيام لم يكن الجنى الداني مطبوعاً فأخذت نسخةً منه، وقرأتها كلها، وعندما يقول: "قال المالقي " كنت أعدُّ نقل المرادي بمنزلة النسخة الثانية من رصف المباني، وقد أفادتني كثيراً، والمالقي نقل عن ابن عصفور في المقرب، وشرح الجمل من غير أن ينص كعادة الكثيرين من السلف، فكنت أعد ما في شرح الجمل وما في المقرب بمنزلة النسخة الثانية، وقد أفادتني – أيضاً – كثيراً.

كثير من الشواهد الشعرية كان يأخذها من الأمالي للقالي؛ لأن القالي أندلسي والمالقي أندلسي، فاعتمد على الأمالي في كثير من الشواهد الشعرية النادرة. فالحمد لله رب العالمين. عندما انتهينا كان من كرم رب العالمين أنه هداني لهذه الكتب، وكنت أعدها في منزلة النسخة الثانية، وهكذا أنت – يا أخي – عندما تُحقق النسخة اليتيمة الفريدة فأنت في خوف مستمر، وفي قلق مستمر؛ لأنها قد تغدر بك في صفحة من الصفحات.

هناك كتاب " خزانة الأدب " لـــ البغدادي، وكتاب "الأشباه و النظائر" لـــ السيوطي تضمن هذان الكتابان كثيراً من الكتب التي ضاعت و لم تصلنا، أو وصلتنا مشوهة؛ فتستطيع الاستفادة منها في تحقيق الكثير من الرسائل والكتب، فتعدها بمنزلة النسخة الثانية التي تستطيع أن تعتمد عليها، عندنا نحن في " لطائف الإشارات " المصدر الرئيس في توجيه القراءات، وفي قضايا علوم العربية كان "الدر المصون"، أوهام القسطلاني كنا نصححها من " الدر المصون " وفي "توجيه القراءات و مسائل علوم العربية" كان ينقلها حرفياً عن "الدر المصون"

مع أن المخطوطة كان عليها سماع القسطلاني هذا الناسخ كان يأخذ من "الدر المصون" بناء على قول المؤلف فيقول: قال السمين، أحياناً ينص و أحياناً لا ينص، فعندما نضع أمامنا نص السمين نصحح كثيراً من خطأ وعبث النساخ عن طريق عودتنا إلى الأصل.

عملية التحقيق عملية شائكة لأنها أمانة، غير مسألة التأليف، مسألة التأليف فيها مرونة، تستطيع فيها أن تتحرك كما شئت فتحذف وتضيف وتعدل ما كتبت؛ لأن هذه النصوص بضاعتك، أنت الذي صغتها، أما في التحقيق فأنت مكبل مقيد على حسب النص الذي أمامك، وهكذا أستطيع أن أقول إن المحقق يستطيع أن يستفيد من الكتب التي نقلت عن المؤلف ونقل المؤلف منها.

في موضوع القراءات والأعلام: ما أكثر أوهام القسطلاني في الأعلام، أسماء المؤلفين، أسماء القراء؛ لأن فيه روايات كثيرة وطرقاً كثيرة في القراءات، فلابد أن تعود لكتب الفن، فكتاب " النشر " أفادنا كثيراً في تصحيح كثير من الأعلام، مع أن النسخة التي أمامنا نسخة عليها سماع القسطلاني، ومع ذلك فيها أوهام كثيرة.

ليكن سؤالك – يا أخي – لأهل العلم ديدنك، أسألهم دائماً وحاورهم دائماً؛ لأن أهل العلم لهم خبرة أكثر من خبرتك، و أنت رجل ناشئ، ولكن ينبغي ألا تأخذ أجوبتهم المأخذ النهائي، قد يكون كلامهم غير دقيق أو غير صحيح، ولي تجربة في ذلك عندما كنت طالباً في جامعة القاهرة كان لدينا

مركز كبير اسمه "**مركز تحقيق التراث**" تابع لجامعة الدول العربية، وكنا نزوره، وكان مدير المركز رجل فاضل اسمه " رشاد عبد المطلب " وقد توفي رحمه الله هذا الرجل آية في الحفظ و يتقن الألمانية بشكل جيد، عندما سجلت " الدر المصون" في الدكتوراه وكانت تحقيق " الدر المصون " من أول الكتب إلى نهاية سورة المائدة ثم أكملته فيما بعد، فالشاهد أنا لا أعرف الألمانية و" بروكلمان " لم يكن مترجَماً في تلك الأيام، فقلت له: ماذا قال " بروكلمان " عن نسخ الدر المصون؟ فالرجل خدمني وترجمها لي لأنه يتقن الألمانية، قال لي: إن نسخة " آيا صوفيا " التركية نسخة بخط المؤلف، فأنا فرحت بها فرحاً كبيراً فبذلت الغالي والنفيس للوصول إليها، وكانت إمكاناتنا محدودة و السفر إلى تركيا شيء مكلف فاجتهدت وعملت حتى وصلت إليها ثم تبين أنها مليئة بالتحريف والتصحيف و ليست بخط المؤلف.

الشاهد: أن الأستاذ "رشاد " كان واهماً في قوله أن بروكلمان يقول: إن نسخة " آيا صوفيا " التركية نسخة بخط المؤلف"، فعندما عرضت "بروكلمان" على رجل آخر يتقن الألمانية قال لي: ليس في "بروكلمان" إشارة إلى أنها بخط المؤلف، فالذي أريد قوله: استشر أهل العلم بكل فن، ولكن لا تأخذ كلام من تستشيرهم على أنه أمر نهائي.

وفي مرحلة التحقيق، ينبغي أن تعمل على جبهتين، جبهة النص، وجبهة خدمة النص.

أنت تنشد الوصول إلى أقرب نص يريده المؤلف، وهذا هو تعريف علم

التحقيق، من غير تحسين، من غير تعديل، إلا أن تكون هناك أخطاء واضحة وضوح الشمس فعند ذلك تقول: هم رجال ونحن رجال.

ثم تأتي خدمة النص، ففي الجبهة الأولى (موضوع الوصول إلى ما يريده المؤلف) تحتاج إلى تمرّس في الخط، فإياك ثم إياك أن تعمل ما يعمله كثير من طلاب الدراسات العليا يعهدون إلى صاحب أو إلى محترف بنقل النسخة، أنا أعدّ هذا خيانة للأمانة، ولو كانت هذه كلمة ثقيلة، ولكن أنت – بفعلك هذا – تتفلت من الأمانة، القضية قضيتك، فكيف تعهد بهذه المهمة الخطيرة إلى إنسان آخر !

إذا كنت تتذرع بأنه لا يوجد وقت، فإذن لا تشتغل بالدراسات العليا ولا بالمخطوطات، فلابد من أن تقوم بالنسخ بنفسك لتتمرّس في قراءة المخطوطة وتفهم غوامضها بشكل جيد، وانسخ على الورق الفرخ، أعني على الورق الذي يكون نص المخطوطة فيه على الصفحة الأولى و أمامك في الصفحة المقابلة الحواشي فلا تضع الحواشي في الصفحة نفسها حتى تكون حراً في الزيادات والحذف، واشتغل في الصفحة الأولى على ما تنقله من المخطوطة، وتصحح وتضيف في الصفحة المقابلة وليكن النسخ بخط يدك، فليست النائحة الثكلى كالمستأجرة.

ثم انتبه إلى انتقال النظر، كثير من النسّاخ ينتقلون في النظر فيعبثون ويخطئون، وهذا الأمر ليس لك فيه عذر، حتى لا تقدم لإخوانك القراء في المستقبل نصاً مهلهلاً، واعلم أن النص الضعيف يجعلك – أنت – المسؤول عن

تحريره وضبطه و تصويبه وتقديمه إلى إخوانك.

ثم ـــ يا أخي الكريم ـــ **بقي – هناك – احتمال أن يكون للمؤلف أكثر من نسخة**؛ لأن كثيراً من المؤلفين يكتبون المخطوطة مرتين، وثلاث مرات، ومن يقرأ في كتاب " الفهرست " لـــ ابن النديم يجد كثيراً من هذه العبارات، يقول ابن النديم: "للكتاب ثلاث نسخ أو خمس نسخ"، كتبه أكثر من مرة.

واجهتنا مشكلة في تحقيق " النهاية في غريب الحديث " في موضوع خدمة النص، وهو كتاب عظيم – وفقنا الله لإتمام تحقيقه – وهو الآن قيد الطبع في ١٢ مجلداً، وفيه حوالي ١٨٠٠٠ حديث ينبغي عرضها على كتب الحديث، فيها أعلام مجهولون بالعشرات، ومهمتك – الآن – البحث في تحديد هذا العَلَم، فعندما يقول: قال سهل، فمَن سهلٌ هذا؟ فيجب أن تطوف في كتب التراجم، وفي كتب طبقات المحدثين حتى تهتدي إلى سهل هذا، وهناك أخطاء كثيرة، وأوهام كثيرة في الترجمة، تَلْقَاها عند كثير من المحققين.

لا تنسَ أبداً أن تحقيق النص لا يعني تحسينه، أو اختيار أفصح اللغات فيه ليكون فصيحاً، ولكن يعني تقديمه كما يريد مؤلفه، لا كما نريده نحن، و في الحواشي مجال رحب لبيان الرأي، وإذا أجمعت النسخ كلها حتى الأم على لفظة لها وجهها ولكن غيرها أصوب منها، أبقينا على ما في النسخ وأثبتنا في الحاشية ما نراه مع الدليل، لماذا؟ لأن لها وجهاً من الصحة.

لا يجوز لك يا أخي – أن تغير لفظة واردة في المخطوطة إذا كان لها وجه، بعض من إخواننا يتسرعون ويغيرون، فينبغي أن يتأنّى المحقق في تغيير ما في

مخطوطته، حتى يتأكد تماماً أنها دخلت في مرحلة الخطأ.

إنك سوف تصل إلى هذا النص من مجموع النسخ فتختار بستانك من جميع الأزهار في مرحلة التنسيق، ويجب أن نضع في أذهاننا أن ما يقرب من ٨٠% من مخطوطات تراثنا مليء بالتصحيف والتحريف والسقط و انتقال النظر والخروم وعبث النسّاخ، لذا لا يجوز إثبات كل اختلاف، وإلا أثقلت حواشيك بما لا طائل من ورائه وتضخم الكتاب بدون مبرر، ونشير هنا إلى التخفيف من المعكوفين،كثير من طلابنا في الدراسات العليا في مرحلة التلفيق يضع المعكوفين ويكثر من هذين المعكوفين، يا أخي، هذان المعكوفان يستعملهما المحقق إذا كان منهجه الأم، فما زاده على المخطوطة من غيرها أخذه من "د" أخذه من "و" يضعه بين المعكوفين؛ لأن منهجه الأم، أما إذا كان منهجه التلفيق فلا يضع هذين المعكوفين؛ لأن الصفحة التي فيها كثرة معكوفات مزعجة للقارئ فلا يريدها، فأنت الجأ إلى طريقة المعكوفين إذا كان منهجك الأم. أما إذا كان منهجك التلفيق فلا ضرورة للمعكوفين، اكتب في الحاشية من نسخة "د" كذا من قوله كذا إلى قوله كذا سقطت الميم أو الواو وهكذا.

بعض المحققين يعملون على مخطوطات تتصل في علوم القرآن و يعود تاريخ نسخها إلى قرن كانت تشيع فيه قراءة أبي عمرو مثلاً أو يعقوب أو ابن عامر فيسأل المحقق هل أثبتُ الآيات وفق نسخي أو وفق ما هو شائع في عصرنا؟

أي أنا – الآن – عندي مخطوطة كتبت في القرن الثامن كانت شائعة في العالم الإسلامي قراءة الدوري فهل أثبت المخطوطة وفق الدوري أو وفق حفص؟

الجواب كما يلي:

لاحظ ما يقوله المؤلف، هل المؤلف يدرس قراءة الدوري من أجل أن يبين دراستها وشرحها فأثبت الدوري، أما إذا كانت القضية ليس لها علاقة في القراءة وإنما يريد أن يستشهد بقول الله ﷻ بأيّ قراءة من القراءات فلا تثبت قراءة الدوري وأثبت قراءة حفص عن عاصم؛ لأن هذا الكتاب يُقدم لطلبة العلم في عصرنا، وفي عصرنا تشيع رواية حفص عن عاصم، ففي بعض المخطوطات مثلاً كتبت في القرن الخامس وكانت شائعة قراءة يعقوب، أو قراءة ابن عامر فيثبت قراءة ابن عامر هذا خطأ !

فمتى تثبت قراءة ابن عامر؟ إذا كان المؤلف يدرسها، أو يضبطها أو يبين إعجازها أو يبين تفسيرها، أما إذا كانت كباقي الروايات والقراءات فأثبت الرواية المشهورة في عصرك و أشر إلى ذلك في مقدمة التحقيق.

من ضمن الأوهام في ذلك ما يفعله كثير من طلاب الدراسات العليا في موضوع إثبات الرسم المصحفي، وهنا أطلب من إخواني أن ينتبهوا؛ لأني سأشرح كلاماً دقيقاً.

ناقشت رسالة في المدينة كانت الطالبة تخطئ في هذا الجانب، أمامي الآن رغبة في أن تكون رسالتي وقد نزلت بالبرامج الحديثة في الكمبيوتر في الرسم المصحفي المأخوذ من مصحف المدينة النبوية، و هذا أمر ممتاز، وبه نتحاشى الأخطاء الطباعية والضبط، ولكن وأنت تشتغل في مخطوطة تتصل بعلوم القرآن وقال المصنف فيها: "و قرأ يعقوب"، وليس في السوق مصحف يعقوب ! ـــــ

وأبشركم بأن المجمع عنده مشروع سيطبع كل الروايات المتـــواترة، أنجـــز الآن المجمع مصحف "ورش" ومصحف "قالون" و "الدوري" و "شعبة" و طبعاً "فص عن عاصم"، الآن لا يوجد " يعقوب " فماذا يصنع بعض إخواننا ! يقوم بتنزيل كل ألفاظ الآية من " حفص" فقط الكلمة التي فيها اختلاف رواية "يعقـــوب" يقوم بكتابتها بالآلة كتابة عادية ! وهو يظن أنه قدم خدمة كبيرة للقرآن وطلبة العلم،فهذا خطأ فادح، لماذا؟ لأنك يا أخي تثبت ما رواه حفص عن عاصم في كل الكلمات، قد يكون "يعقوب " قرأ هذه الكلمة بالإظهار، قرأها بالإدغـــام بالإقلاب أو قرأها بمد الصلة، فأنت بذلك توهم الناس أن قراءة حفص كقراءة يعقوب، فقط الاختلاف في هذه الكلمة أنك كتبتها بالرسم العادي وحقيقـــة الأمر غير ذلك؛ لأن الاختلاف بين القارئين ليس محصوراً في هذه الكلمة، وإنما هناك وجوه أخرى تبدو في طرق الأداء كأحكام الإمالة ومـــد الصـــلة والمـــد والإدغام وغير ذلك، ثم الذي لم ينتبه سيظن أن الذي أمامه قراءة "حفـــص"، وهي قراءة "يعقوب" فأنت ضللت الناس، لذلك – يا أخي الكريم – روايـــة "حفص" فقط قم بتنزيلها من البرنامج وأما غير رواية حفص اكتبـــها بالرســـم الإملائي المعاصر أو بخط يدك كاملة، يعني كما قرأ يعقوب بالضبط، بالإظهار، بالإقلاب، بالكل، ولكن الأسهل أن تكتبها بالرسم العادي حتى تقول للنـــاس إنني أضع أمامكم الآن قراءة يعقوب للآية كاملة أو رواية الدوري، فهذا الخلط وهذا التلفيق مابين القراءات يلجأ إليه بعض طلاب الدراسات العليا و لا وجه له أبداً، ولا ننسى أنّ مسألة البرامج الحاسوبية هذا شيء جديد، فكنا نكتـــب

الرسائل الجامعية ونناقشها وهي مكتوبة بالرسم الإملائي، واطمئن فلن يصير في التنْزيل الحكيم شيء ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر:٩] ولكن هذه البرامج الحاسوبية عندما تنْزل بحفص يجب أن تكون حفصاً فقط، لا تلفق قراءة على قراءة.

موضوع ضبط النص:

طالب الدراسات العليا في قسم القرآن وعلومه، يظن أنه ليس بطالب نحوٍ فيقدم النص تقريباً خالياً من الضبط، وإذا أراد أن يضبط يضبط على الشكل التالي "فِيْ الْبَلَد" يضع كسرة تحت الفاء وسكون على الياء"البلد" سكون على اللام الأولى وفتحة على الباء واللام وقد تكون هناك كلمات تحتاج إلى الضبط فيهرب من ضبطها.

يا أخي الكريم انتبه: اضبط مُشكِل النص، اضبط عين المضارع، اضبط الموقع الإعرابي للكلمة رفعاً ونصباً وجراً، أحياناً يكون الضبط لفاء الكلمة، أو لعينها، أو للكلمة كاملة فلا تتهرب من ذلك، فرصة لك لترجع لكتب اللغة، فمرحلة الماجستير و الدكتوراه فرصة ثمينة لتتعلم الضبط وترجع إلى كتب اللغة، فما أكثر من يهربون بحجة أنه لا يعرف الضبط فأنت طالب قسم القرآن مهمتك مثل مهمة طالب اللغة العربية، فينبغي أن تجتهد اجتهاداً حثيثاً في الوصول إلى المضبوط، ولا تضبط ما لا يحتاج إلى ضبط مثل كلمة "دار" لا تضع فتحة على الدال ولا تضع سكونا على الألف، فاضبط المشكل من النص، واضبط أسماء الأماكن.

كثير من الناس لا يضبط أسماء الأماكن ولا يهتم بها وكذلك الأعلام فما أكثر الوهم والتفلت في ضبطها، ومن مجالات خدمة النص أن تحيل في توثيقاتك على الكتب المتقدمة، وهذا أمر يتساهل فيه كثير من إخواننا في خدمة النص، فمثلاً أمامنا نص يقول: "وذهب ابن عطية إلى أن قوله – تعالى – كذا " نص تراثي فنقرأ في الحاشية: البحر(٧٥٠)، مع أن كتاب ابن عطية المحرر الوجيز موجود فلماذا لا تعود إليه؟

يجب – عليك – أن تعود إلى الكتب الأصلية وتخرّج منها، و كذلك في المسائل العلمية يخرّج البعض من كتب المتأخرين، وينسى الطبري، وابن أبي حاتم، وفي قضايا النحو تراه لا يلجأ إلى سيبويه ويذهب إلى كتب المتأخرين، وهذا يدل على أن الطالب يتهرب أو يخشى، لا يثق بنفسه.

استعن بأهل العلم، استعن بالبرامج الإلكترونية فهذا لا مانع منه في الوصول إلى توثيقاتك.

موضوع الترجمة يخطئ فيه كثير من الناس فمثلاً يترجم للصحابة من كتاب "وفيات الأعيان " أو"تهذيب الكمال"، لا يا أخي تراجم الصحابة لها كتبها في "الإصابة " و "أسد الغابة "،الآن أمامك نص لفقيه مالكي فارجع إلى كتب فقهاء المالكية، فقيه حنفي ارجع لكتب الأحناف، فالقاعدة المنهجية أن نعود في الترجمة إلى أصحابها، وكذلك النصوص نعود في توثيقها إلى أصحابها الأصليين، في موضوع القراءات قراءة سبعيّة يذهب أحدكم و يخرّجها من كتاب "الحجة" لـ الفارسي!! هذا لا يصح، فكتاب " الحجة "كتاب في توجيه القراءات وليس

في التوثيق، عد إلى " الحجة " في توجيه القراءات، لكن توثيق القراءات له كتبه ككتاب " النشر " و " السبعة " و له كتبه الأصلية.

ناقشت رسالة في مرة من المرات في" الفعل المتعدي " وثق الطالب التعريف من قرارات مجمع اللغة العربية !.

متى نعود لقرارات مجمع اللغة العربية؟ نعود في الأشياء التي تحتاج إلى مناقشة إلى مسائل التعريب في الأقوال التي لهم رأي فيها، أما الفعل المتعدي فنعود إلى سيبويه، إلى الأصول.

في ترتيب الحواشي يجب أن يرتب المحقق وفق وفيات أصحابها، فمثلاً : "ابن قتيبة" (٢٧٦) هـ يجب أن يضعه المحقق بعد "القاسم بن سلام" المتوفى (٢٢٣)هـ؛ لأن وفاة ابن قتيبة بعد وفاة ابن سلام.

يخطئ أيضاً كثير من إخواننا في التراجم في العبارات الإنشائية، فيترجم للإمام "الذهبي" ويقول: "من أكابر العلماء"، لا أحد يشك أنه من أكابر العلماء لكن هذه عبارة إنشائية عامة تنطبق عليه و على غيره، فترجمْ للذهبي بعبارة مانعة لا يدخل فيها غيره، في شيء تميز به، اذكر اسم أبيه وشهرته وكنيته، ولا تعودْ نفسك على هذه العبارات الإنشائية.

ثم موضوع التوثيق في الأبيات الشعرية يذكر متن الكتاب بيتاً من الشعر، وتقرأ في الحاشية عشرين مرجعاً متأخراً في توثيقه، فما فائدة هذا التوثيق؟ فكم أخذ من وقتك وجهدك هذا التوثيق، فالأحسن أن ترجع للديوان و ترجع لـ "سيبويه " و " المبرد".

إن كان كلام المؤلف يستند إلى حجة يراها قوية، يستند إلى سماع العرب؛ لأن هذه اللغة صحيحة ليست مأخوذة من مجهول، فيقول سيبويه: حدثني الثقة أو سمعته من الأعراب، "الديوان" هو الأصل؛ لأن الغاية من تخريج البيت إثبات أن كلمات هذا البيت وقائل هذا البيت وضبط هذا البيت أمور يوافق عليها ثقات العلماء، وهذا يستوجب منك أن تتوغل في الوصول إلى مصادر البيت عند قدماء العلماء، أما التخريج من كتب المتأخرين فيعد من باب الضرورة القصوى، على ألا يتجاوز عدد هذه المصادر اثنين أو ثلاثة، ولا تنسى أن ثمة ملاحظة قد تأتيك من المناقش إذا فاتك تخريج الديوان أو التوثيق من المصادر القديمة.

في تحقيقنا لـ " الاتقان " تبين لنا أن السيوطي نقل كثيراً من النصوص عن كتاب "البرهان" لـ (الزركشي) من غير أن ينص على أنه استقاها من الزركشي.

وهنا لابد أن نتعرف على شيئين:

١- أماكن ورودها في البرهان.

٢- من أين استقاها صاحب البرهان.

فإن قال صاحب البرهان: "قال فلان"، يجب أن تجتهد في العودة إلى كتابه إن كان مطبوعاً أو مخطوطاً لتوثيقه، ومن هنا يتبين لنا أن السيوطي كان يتصرف في النصوص يختزل أو يزيد مع أنه يقول: قال فلان، فلا نجد هذا النص عند فلان ! وهنا - يا أخي - هل نثبت الاختلاف بين نقل السيوطي عن النص

الأصلي؟ إذا أقررنا هذا المبدأ فسوف تكثر الحواشي، ويتضخم الكتاب من غير فائدة؛ لأن هذا الأمر كان شائعاً وفاشياً في كتب السلف، كانوا ينقلون بالمعنى، وكانوا يختزلون، ويتصرفون إذا كان نفس المؤدّى وروح النص، فهذا لا تعلق عليه، وإنما تَدَخّل أنت عندما يكون هناك اختلاف جوهري عن النص الأصلي، تقول: في النص الأصلي كذا، حتى يتبين للقارئ أن نقل السيوطي فيه نظر؛ لأن السلف كالسيوطي كانوا يتصرفون كثيراً في اختزال النصوص، في تخريج النصوص والأحاديث.

استفد من البرامج الإلكترونية ولاسيما من البرامج الجيدة كالمكتبة الألفية، و لكن لا تكتف بها، فهذه البرامج تكون مفتاحاً لك، فعندما يقول لك رواه البخاري في الجزء والصفحة والباب، فعد إلى البخاري نفسه لتتأكد أن هذا الكلام صحيح، وذلك لكثرة الأخطاء في البرامج الإلكترونية.

اعتاد بعض المحققين أن يثقلوا حواشيهم بمعلومات الطباعة في المصادر التي يعودون إليها في الحواشي، فلا أرى أية فائدة لذلك؛ لأن قائمة المراجع الأخيرة كفيلة بأن تسرد جميع المعلومات، ولكن اكتب عنوان المرجع، واسم المؤلف كاملين عند وروده للمرة الأولى، و إن تكرر اكتفيت بالعنوان، إلا إذا اشترك عنوان الكتاب مع عنوان كتاب آخر فيلحق مع كل واحد منهما اسم مؤلفه .

بعض المحققين يضعون حواشيهم مجموعة في آخر الكتاب، أي إن الحواشي كلها عندهم في آخر البحث، فهذه الطريقة غير مجدية و تشتت ذهن القارئ في التنقل إلى الصفحات الأخيرة مع كل حاشية، والأولى أن تكون حواشي كل

صفحة بأسفلها.

التوازن أمر ضروري في أعمال المحقق، ما معنى أن تختلف الصفحات في خدمته للنصوص، بعض النصوص يضبطه المحقق ضبطاً وافياً، صفحة(١٦) مضبوطة ضبطاً ممتازاً، وصفحة (٢٢) خالية أو تكاد تخلو من الضبط، هذا يقال فيه: فقد المحقق توازنه في عمله، وقد يفصل في طرف من دراسة المصنف، ثم إذا وصل إلى فقرات أخرى كتبها كتابة سريعة، وبعض إخواننا المحققين يكتفون بإثبات ما جمعه من البطاقات في الدراسة.

ناقشت مرة رسالة " في القياس عند فلان " فماذا فعل في القياس؟ جمع النصوص الموجودة في بطاقته و أثبتها من غير أن يدرسها، فأي دراسة هذه، وهذا يصنعه كثير من طلاب الدراسات العليا القرآنية، ويصفها بأنها دراسة، فأين معالجتك؟ بصماتك وموازناتك وإفادتك من المراجع في هذه الدراسة؟ حتى يكون فعلاً أمامنا محقق درس هذه النصوص وانتهى إلى استنتاجات وثمرات مفيدة.

يجب أن يتفق الطالب مع مشرفه على ضوابط التعليق حتى لا يتهم بالإسراف أو التقصير، ونضرب مثالاً على ذلك ناقشت مرة "اعتراضات السمين الحلبي على أبي حيان تحقيق ودراسة " فماذا صنع الطالب؟ عندما يعترض السمين على أبي حيان في مسألة معينة، تقديم الخبر على المبتدأ مما له الصدارة مثلا، يأتي صاحبنا الدارس فيضع حاشية مطولة بجميع أماكن تقديم الخبر على المبتدأ وجوباً، فيكتب (١٨) سطراً في هذه الأماكن، فما حاجتنا إلى

هذه الأماكن؟ فالرجل يعترض على أبي حيان في قضية واحدة من مواضع "تقديم الخبر على المبتدأ " فلماذا تثبت كل هذه الأماكن؟ حشد التفاصيل في التعليق أمر موجود عند كثير من طلبة الدراسات العليا وهذا لا يصح، فأنت متهم بالتزايد فعلق بما هو ضروري، فالتوازن ليس أمراً شكلياً بل ينبغي أن يراعى مراعاة دقيقة في تعليقاتك.

بعض من المحققين يقحمون حواشي لا ضرورة لها، من مثل: "التنبيه على أخطاء المحققين"، فإذا كان هذا التنبيه ضرورياً في النص الذي أمامك فتصرفك جيد و له علاقة مباشرة بموضوعك، أما إذا لم يكن له علاقة فليست القضية عرض عضلات وإظهار التعالم.

المقدمة التي تكتبها لا داعي للتطويل في مسائل مدروسة، اختر القضايا التي لم يدرسها أحد قبلك، فادرس الأشياء التي تحتاج لدراسة، ليست القضية قضية صفحات مطولة في مسائل قتلت بحثاً، وبدلاً عن ذلك اجتهدْ كثيراً في تقديم ترجمة وافية، إذا لم يكن هناك أحد قد سبقك في هذه الترجمة.

في أثناء دراسة المالقي قبل أربعين سنة عندما اشتغلت في"رصف المباني" لم أقف على ترجمة وافية للمالقي، كل ما جمعته هو شذرات يسيرة وكان هذا يلذع فؤادي لذعاً، ماذا أقول للقراء في المستقبل؟ لم أقف على ترجمة للمالقي؛ لذلك كنت أذهب إلى جامعة القاهرة أقلب مئات الكتب حتى أعثر على شيء، ثم هداني الله إلى كتاب:"**الإحاطة في أخبار غرناطة**" للسان الدين بن الخطيب وجدت فيه(١٥) صفحة عن صاحبنا وفرحت فرحاً شديداً، وذلك شأن المحقق

الحريص على تقديم شيء لقرائه ومن يستفيد من كتابه في المستقبل فلا تيأس.

موضوع الفهارس:

بعض الإخوان عندما يصل إلى النهاية يلهث من التعب؛ فيقدم لنا فهارس ضعيفة، فيجب أن تكون الفهارس متقنة، وهنا أذكر ثلاثة أمثلة تلمع في ذهني:

١- كتاب " المذكر و المؤنث " لـ الأنباري، أكبر كتاب في المذكر والمؤنث (٨٠٠) صفحة ليس فيه فهرس للغة، فكيف أصل إلى ما أريد؟ فكلمة ذهبٌ هل أقول: هذه الذهب أو هذا الذهب؟ فكيف أصل إليها؟ لأنه لا يوجد في الكتاب فهرس لغة، وفات المحقق صنع فهرس لغة.

٢- في كتاب " الممتع في التصريف " لـ ابن عصفور، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة صنع فيه فهرساً من أجمل ما يكون، اسمه "فهرس الأمثلة الصناعية" كلمة "قيام" أين وردت عند المؤلف؟ فنريد معرفة ضوابط المعتل الذي انقلبت فيه الواو إلى ياء كما في كلمة "قيام" أو "صيام" خلال ثوانٍ تصل إلى كلام ابن عصفور فيها من خلال الفهرست.

٣- ما صنعه الأستاذ عبد السلام هارون في فهرسته لكتاب سيبويه في القرآن الكريم فهو اختار كما يقول اللفظة المشهورة في الآية فمثلاً آية: " لا ريب فيه " يضعها بالراء لماذا؟ قال: لأن أشهر ألفاظ الآية كلمة "ريب" وهذا يجعلنا لا نستفيد من فهرست القرآن الكريم في كتاب سيبويه على الرغم من أهمية هذا الضرب من الفهارس، يا أخي عندك طريقة سهلة وهي ترتيب الآيات وفق ترتيب سور المصحف، ـ ولا نقدح في الرجل ـ فقد اجتهد لكن في

طريقته هذه سوف تتعب كثيراً لأنك لا تعرف أين وضع اللفظة، وما ضابط شهرة هذه اللفظة؟ فأريد أن أقول إن الفهارس ضرورية جداً ولكن يجب أن تنتبه لفن هذه الفهارس.

موضوع الطبعات:

اختر الطبعة الجيدة بتحقيق ممتاز وانتبه من الطبعات التجارية المليئة بالتحريف والتصحيف والسقط، عندما نناقش الرسائل نجد جل طلابنا يقعون في هذه المسألة، فيا طالب الدراسات العليا اسأل مشرفك و أهل العلم: الكتاب الفلاني: ما الطبعة الجيدة؟ وهناك أمثلة كثيرة:

-**المحرر الوجيز** لا ترجع إلى الطبعة المغربية وارجع إلى الطبعة القطرية.

-الطبعة التونسية لكتاب " **الأغاني**" للأصفهاني من أسوأ الطبعات فارجع إلى طبعة دار الكتب المصرية.

- طبعة **الأمالي** للقالي هناك أكثر من طبعة تجارية، واعتمد على طبعة دار الكتب المصرية.

- **ديوان حسان**: عد إلى طبعة وليد عرفات.

- **ديوان الأعشى**: عد إلى طبعة محمد حسين.

- **ديوان الأخطل**: هناك طبعة ممتازة للدكتور فخر الدين قباوة، و ابتعد عن طبعة دار الجيل. فاسأل أهل الفن في معرفة الطبعات الجيدة للكتاب واعلم أن هناك طبعات تجارية متوافرة بكثرة لجمهور كتب التراث، فلا تغتر بما هو في

المكتبات التجارية، ولكن ابحث واسأل عن الطبعات القيمة التي يعتني محققوها بالضبط والفهارس وغير ذلك.

أخيراً أيها الإخوان هذه المحاضرة شجونها كثيرة فالعلم رحم بين أهله فكل منا يصل إخوانه بهذه العلوم.

المداخلات و الأسئلة:

السؤال الأول من أبي سهل المدني: إذا كنت معتمداً في التحقيق على نسخة الأم ووجدت فيها خطئًا واضحاً، وهو صحيح في النسخ الأخرى، فهل أثبت الصحيح في الأصل؟ أم أكتبه خطئًا كما هو في النسخة الأم وأشير إلى الخطأ في الحاشية مع إثبات ما في النسخ الأخرى؟

إذا كنت تعمل وفق منهج الأم ووجدت نسخة أفضل من نسختك فلا تتعجل إلغاء الأم، فهذا المؤلف الذي وقفت على نسخته بخط يده، أو منقولة عنه، أو عليها سماع من المؤلف، قد يكون له وجهة نظر فما وصلت المسألة إلى الخطأ الجذري والنهائي في الفهم، فإذا لها وجه من الصحة ولو كان قليلاً فأبق ما في الأم وعلّق في الحاشية.

قل: في "د" كذا و أراه الصواب، وعلل ما رأيته صواباً، لماذا؟ لأننا سوف نطرح احتمالاً أن هذا التصرف كان من الناسخ أو ممن نقل عنه نسخة "د" فتصرف هذا الرجل تصرفاً ما باعتقاد منه أنه هذا هو الصحيح، وهذا وارد يا إخواني في المخطوطات، متى تلغي ما في الأم؟ عندما تجزم بالخطأ عندما تدخل

إلى مرحلة القطع، فعند ذلك لا نقر ما في الأم، فلسنا آلات ننسخ ما في الأم ونحتفي بها، فنترل الأم للحاشية ونقول الصواب ما في "د".

تصرفنا هذا التصرف لاعتقادنا أن المؤلف قد يكون له أكثر من نسخة للكتاب وهذه مسودة الكتاب، وكان فيها واهماً، ووجدنا هذا بأم أعيننا أثناء تحقيقنا في "اللطائف" عندنا نسختان عليهما توثيق المؤلف فنسخة من النسخ كان فيها أخطاء وأوهام، فكنا نلجأ إلى النسخ الثانية والحمد لله.

السؤال الثاني عن طريق النت: الأعلام والعلماء لا نستطيع أن نجد لها مصادر في الضبط فكيف نتصرف؟

التحقيق أمانة علمية، وأنت مكلف بالنهوض بها، فعد إلى كتب الأمكنة: "معجم البلدان " حققه الشيخ حمد الجاسر، وكتاب " تاج العروس في شرح القاموس " المليء بذكر الأماكن، هذه الأماكن منثورة في كتب التراث، لا تعتمد على ضبط المحقق، وإنما تعتمد على الضبط بالحروف، مثل أن يقول المؤلف بالكسر أو بالتاء المثناة، فإذا وجدت بغيتك في هذه الكتب " معجم البلدان "، " تاج العروس " فتوفيق من الله، وإذا كانت الحالة كما قلت فبكل جرأة قل: و لم أقف على ضبطها، فقد يدلك أحد عليها في المناقشة – مثلاً – فلا تتعجل أنت وتضبطها من ذاكرتك.

هذه المسائل لا يعمل فيها العقل، فإذا لم يكن هناك ضبط يُعتمد عليه فلا تضبط، ولكن الحقيقة أن كثيراً من الإخوان يتساهلون في هذا الجانب، ولا يضبطون الأعلام وهذا خطأ.

السؤال الثالث د. بدر البدر: إذا كان الخطأ واضحاً في المتن فهل يعدل من المصدر المنقول منه؟

– العلم مقدس، و ينبغي احترامه وله أهميته، فإذا كان القائل سيبويه – وكتاب سيبويه بين أيدينا – وكان المؤلف واهماً بالنقل عن سيبويه – والوهم واضح أمامنا – وهو ينقل عن سيبويه.

وهذه مشكلة واجهتنا في تحقيق " اللطائف " فهنا يجب أن تتدخل في تصحيح الخطأ، فالحقيقة واضحة أن الإمام واهم في النقل، فلا بد من التصحيح، وتقول في الحاشية: إنه في الأصول كذا وكذا وهو خطأ والتصويب من كتاب سيبويه، يعدل إذا كان الخطأ واضحاً، ومصدر النقل بين أيدينا.

السؤال الرابع د. بدر البدر: إذا كان الكلام للمؤلف و ليس منقولاً من أحد، وهناك خطأ نحوي أو إملائي، والنسخ أجمعت على هذا الخطأ فهل يعدل الخطأ في المتن و يشار في النسخ أنه حصل كذا والنص ليس منقولاً لأحد؟

– يجب أن نفصل إذا كانت المسألة إملائية أو لغوية أو علمية:

إذا كانت إملائية: كتابة همزة أو ألف بعد الواو فنضرب بكل المخطوطات عرض الحائط من غير إشارة في الحواشي، لا إشارة في الحواشي إلى الأخطاء الإملائية نكتب النص الإملائي وفق إملاء عصرنا ونكتب هذا في منهج التحقيق في المقدمة، لا نشير للأخطاء الإملائية، وذلك لأن الاختلافات الإملائية لا قيمة لها ولا ضرورة لها لأننا نكتب وفق إملاء عصرنا، فيجب أن تعمل دورة في الإملاء قبل أن تدخل في مجال التحقيق؛ لأن كثرة الأخطاء في الهمزات

والألفات أمر متعب فطلاب الدراسات العليا يجب أن يدخلوا دورة وهـذا لا يعيبهم فيجب أن يعملوا دورة عند شيخ متمكن في هذا العلم حتى ينهوا قضية الاختلاف، فإذا كانت المسألة إملائية تصحح دون الإشارة إلى الخطأ في الحواشي أبداً.

وإذا كانت المسألة لغوية: فبيننا وبينه كتب اللغة، فمثلاً: "صَعِدَ" هذا الضبط الذي تنص عليه كتب اللغة، ونسخة "د" كتبتها: "صَعَدَ" فما فائدة الإشارة إلى نسخة "د" إذا لم يكن لها وجه في اللغة، أما إذا كان لها وجه فأنا أختار المذهب الصحيح في ضبطها وأشير في الحاشية للأمانة العلمية إلى ما وجدته في النسخ الأخرى.

أما الضبط الذي هو الخطأ النحوي: قالت إحدى النسخ: إن أبو زيداً، فما فائدة أن أثقل الحواشي بعدد النسخ في هذه الأخطاء، فليس لها إلا وجه واحد فهذا الناسخ جاهل فأثبت الصحيح.

وإذا أجمعت كل النسخ على الخطأ، ولا وجه لها فأثبت الصحيح وأقول: في الأصول كذا للأمانة العلمية.

السؤال الخامس: هل عدم ضبط النص المحقق يشمل نصوص القرآن والأحاديث والآثار؟

– الشواهد التي يذكرها المؤلف الذي تحققون كتابه هي في ذمتكم، أمانة في أعناقكم، ينبغي ضبطها و شرحها وإكمالها إذا كانت ناقصة، كالأبيات الشعرية، وينبغي خدمتها خدمةً عاليةً فهي في ذمتكم، ولا يجوز التهرب من

خدمة أي شاهد سواء كان قرآنياً أو شعرياً أو كان نصاً من النصوص من الأمثال، أو من أي شيء من الشواهد، أنت مكلف بضبطه وإجماله وبيان الشاهد فيه وخدمته خدمه كاملة.

السؤال السادس: هل يوجد للدكتور كتاب مؤلف في هذا المجال؟

– لدي كتاب عنوانه " محاضرات في تحقيق النصوص " وهو مطبوع طبعتين.

السؤال السابع د. عماد زهير حافظ: لدينا مشروع في كتاب " البحر المحيط " في تحقيقه وهو بحر لا ساحل له وكثير من غرق فيه، و موزع على مجموعة من طلاب الكليات من الجامعات في المملكة، فهل يلزم أن يكون هناك مشرف متخصص في اللغة مع مشرف التفسير؟

– الفكرة تشكرون عليها كل الشكر، وهو توجيه طلاب الدراسات العليا لتحقيق البحر المحيط، فتحقيق البحر المحيط عمل عظيم، والكتاب عظيم ومؤلفه يُذكّرنا بسيبويه والسلف الصالح العظماء، و عملية تحقيقه ضرورية جداً؛ لأن النسخة المطبوعة مليئة جداً بالتحريف والتصحيف و السقط، وتبين لي هذا أثناء تحقيقي لكتاب" الدر المصون "، ولكن اقبلوا مني هذا التوجيه من أخيكم ومن الفقير إليه تعالى: لا تكتفوا بقضية أن يكون هناك مشرف في التفسير، الكتاب أقرب إلى النحو، أقرب إلى علوم العربية، أقرب إلى قضايا اللغة، فلو قلت لي: المشرف من اللغة، ومعه مشرف من التفسير أقبل، أما أن يكون هناك مشرف في التفسير فقط فهو أمر فيه نظر، مع احترامي لرأيكم وتقديري لجهودكم، فأنا

أنصح إخواني المسؤولين في الجامعة الإسلامية أن يكون معهم أحد من أهل اللغة؛ لأن أبا حيان رجل نحوي، وأرى ضرورة أن يكون مع مشرف التفسير أخر من إخوان اللغة في العمل.

السؤال الثامن د. فهد الرومي: كنت أود أن نعيش جو تحقيق النصوص كعلم وفن بأن يتحدث لنا عما بعد التحقيق لهذه الكتب المطبوعة المحققة، ما هي المآخذ عليها؟ وما هي إيجابياتها؟ وإن كان أشار إلى بعض المحققين ومزوري التحقيق، وكنت أود من فضيلته أن يتعرض إلى الفرق بين التحقيق الفردي والتحقيق الجماعي الذي يصدر عن مؤسسات علمية كالوزارات والمجمعات، وأيضاً بعض دور النشر التي اتخذت لها مجموعة من العلماء؛ ليقوموا بتحقيق ما يطبعونه من كتب، فهل ترى فضيلتكم أن التحقيق الذي يقوم به جماعة من العلماء مثل التحقيق الذي يقوم به الفرد؟ أم أنه يعتريه شيء من الخلل؟

الدكتور فهد من أهل الصناعة ومن أهل الفن، فتجد أسئلته دقيقة مرتبة على حسب واقع التحقيق.

بالنسبة للسؤال الأول فأنا سرت وفق الخطوات التي طلبها مني الأخوة منظمو المحاضرة أهل الجمعية فطلبوا مني أن أعرض تجربتي وتوجيهي إلى طلاب الدراسات العليا في علم التحقيق، وما يطلبه الدكتور فهد يحتاج إلى محاضرات أخرى، وشجون أخرى، وعالم آخر، نتحدث فيه عن التراث من زوايا أخرى، فهو أمر واسع يحتاج إلى مجلدات، ولعلها تتاح لنا فرصة قادمة للحديث عن ما يطلبه الدكتور فهد.

أما موضوع التحقيق الفردي و الجماعي، فهو كذلك من القضايا العلمية التي نعيشها في عصرنا، التحقيقات الجماعية للدكتور عبد الله التركي – حفظه الله – تحقيقات ممتازة، عندما يتفق مع مؤسسات علمية كبيرة على إنجاز "مسند أحمد "، أو " تفسير القرطبي "، والموسوعات الكبيرة التي أصدرها الدكتور التركي تنطبق على التحقيقات الجماعية، فالتحقيق هذا يحتاج إلى أهل علم ينهضون به، فإن تيسر اللقاء الجماعي كما هو الحال عندنا نحن في المجمع فأمر طيب، ففي المجمع الأعمال العلمية تسير على النحو التالي: عندنا متخصص في اللغة العربية، ومتخصص في القراءات، ومتخصص في العقيدة، ومتخصص في التفسير، ومتخصص في الحديث، فكل واحد من هذا الفريق يأخذ تخصصه وسرنا على ذلك في "الإتقان "، و" معجم مصنفات التفسير " و " لطائف الإشارات " وإن شاء الله في الأعمال القادمة، فهذا التخصص في الأعمال الجماعية أمر ممتاز، وهو يجعلنا نطمئن بأن نعطي القوس باريها، فمثلاً في العقيدة تتبعنا أخطاء السيوطي العقدية في الإتقان، و كتبنا أكثر من ٦٠ حاشية عقدية، وفي الحديث وكلناه لجماعة متخصصين في الحديث قدموا لنا الحكم على الأحاديث و تخريجها وكذلك في قضايا التفسير واللغة العربية والبلاغة، فكل متخصص يأخذ جانباً، فهذه من فوائد العمل الجماعي في التحقيق، فما يدعو إليه الدكتور فهد أمر إن تيسر وتوفرت هذه المجامع العلمية بالنهوض في هذه الأعمال فنعمّا هي والحمد لله.

السؤال التاسع د. عبدالله : ما ذكرتموه في إثبات رواية حفص في تحقيق

الكتب مراعاة لانتشار هذه القراءة في هذا العصر، وترك القراءة التي أثبتها المؤلف، إلا إذا كان المؤلف يدرس القراءة ذاتها، و عندي إشكالان:

١ – أن القراءة التي أثبتها المؤلف قد يكون لها أثر في فهم كلام المؤلف أو اختيار معنى له أو ترجيح قول وهذا يكون في الغالب ظاهرًا في كتب التفسير التي اعتمد مؤلفوها على قراءة معينة؟

٢ – ألا يعتبر تغيير هذه القراءة التي أثبتها المؤلف تصرفاً في الكتاب لا يحق؟

– إذا كان المؤلف يتحدث عن قراءة معينة لأجل أن يضبطها أو يشرحها أو يبين النكتة فيها أو أي سبب من هذه الأسباب فتبقى هذه القراءة، ولا يجوز تغييرها فمن العيب أن تتدخل وتصلحها، فالمؤلف يريد أن يتحدث عن هذه القراءة فيجب أن نحافظ عليها، أما إذا كانت المسألة ليس لها علاقة أبداً بالقراءات فتبقى قراءة حفص هي المعول عليها؛ لأنها هي المعروفة في عصرنا.

وأضرب مثالاً: في قوله – تعالى –: ﴿ ۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا ﴾ [البقرة: ١٠٦] إذا كان الرجل يتحدث عن النسخ في القرآن الكريم وأنه قد ورد ذكره في القرآن الكريم، و هذا ظاهر في قوله – تعالى – ويأتي بنص الآية، ففي عصرهم كانت قراءة " الدوري" عن أبي عمرو مشهورةً، ولا يعلمون غيرها فكتبها الناسخ وفق ذلك، و لا يوجد أي إشارة إلى الاختلافات في قراءة (ننسها) أو(ننسأها) فهو يهمه مسألة أن النسخ ورد ذكره في القرآن الكريم، فلا يهمه موضوع القراءات القرآنية، ولكن في عصره اشتهرت قراءة غير القراءة الموجودة في عصرنا، فأنت الآن إذا أثبت هذه القراءة ستسبب تشويشاً، والمسألة

ليست قضية دراسة هذه القراءة وإنما هي شاهد قرآني على أن النسخ ورد في القرآن.

أعود وأقول إذا كانت المسألة تتصل بإثبات قراءة معينة فلا يجوز للمحقق أن يغيرها، ومن المعيب أن يغيرها، أما إذا كانت المسألة تتصل بأن هذه القراءة كانت في عصره فأنت تقول في مقدمة التحقيق إن هذا الناسخ الذي حققنا الكتاب عليه كان يكتب الآيات القرآنية وفق ما هو مشهور في عصره، ونحن كتبناها على ما كان مشهوراً في عصرنا، أما ما يتعلق بحكم يتصل بالقراءات فحافظنا على هذه القراءة وضبطناها بالشكل.

السؤال العاشر د. إبراهيم: هناك رأي حديث يقول إن تسجيل طالب الدراسات العليا في تحقيق مخطوط غير مناسب وغير مجدٍ فهو لا يبني الطالب ولاسيما مع ظهور الموسوعات الالكترونية الحديثة حيث أصبحت المعلومة بين يديه بضغطة زر يحصل على ما خطر على باله، وما لم يخطر من المعلومات، و لم تعد الحاجة إلى الأفراخ، وكتابة النص من اليمين واليسار، و لم تعد هناك الحاجة إلى القلم ربما، وهناك مراكز تعين الطالب في الدراسات العليا في نقل النص وغيره، نحن نتكلم عن واقع لا واجب، لذلك الآن كثير من الكليات لا تحبذ التحقيق بل يريدون أن يسجل الطالب في موضوع، ويقولون: هذا الذي يفيده في التخصص ويرفع الملكات والمهارات فما رأيكم؟

– ذكرتني بأيام زمان كنت في جامعة القاهرة سنة الـ ٧٠ميلادي ٩٠ هجري أي: قبل ٤٠ عاماً، كانوا في ذلك العصر يقولون: لا نقبل موضوعاً في

الدكتوراه والماجستير إلا في التحقيق، وفعلاً كل طلاب الدراسات العليا وجّهوهم إلى تحقيق المخطوطات؛ وذلك لكثرة المخطوطات، أما الآن المخطوطات التي تستحق التسجيل نادرة؛ فلذا لا نوقف المسألة ونقول لا يجوز التحقيق واذهب إلى التسجيل. لا فهذا له فائدته وهذا له فائدته، ولكن ينبغي أن نركز على المخطوطة ذات الشأن التي لها فائدتها وقيمتها، فأحيانا نمر بمخطوطات في الماجستير و الدكتوراه ليس لها أي إضافة، فليس فيها أي علم أو زيادة، فلذلك أنا أوصي إخواني بأن يوجهوا الطلاب إلى مخطوطات ذات شأن، فاذهب إلى تركيا أو الغرب وابحث عن مخطوطة لها قيمة، فإذا لم تجد توجه إلى تأليف البحث، فنحن لا نمنع التحقيق بل هو مهم وضروري ويصقل المواهب، ويعطي ثقافة عامة للطالب، ويجعله متمرساً بالفن الذي هو فيه ولكن ينبغي أن تكون المخطوطة ذات شأن.

السؤال الحادي عشر د. ناصر: الكلمة غير المقروءة بعضهم يكتب "لم أتبينها"، وسمعت منهجاً جديداً خرج وهو: أن تنقل الكلمة برسمها في المخطوط، وتطبع في الكتاب. فما هو المنهج الصحيح في ذلك؟

– أنا لا أرى أبداً أن يرسمها كما هي في المخطوطة فهذا لا يقدم و لا يؤخر، ولكن كلمة لم أتبينها كلمة خطيرة فأنت ابذل جهدك عن طريق المشرف، و أهل العلم، و الكتب المناظرة، و مؤلفات المؤلف الأخرى، وفي النهاية إن سدت كل الطرق فقل: لم أتبينها.

السؤال الثاني عشر: ما الفائدة من عزو الآيات في الدراسات القرآنية فتجد

في الكتاب أحياناً ١٥ حاشية فما الفائدة من هذا؟

- عزو الآيات يكون في المتن، لا تثقل الحواشي في عزو الآيات، ولكن إذا كانت قليلةً، وأحببتَ أن تعزوها في الحواشي فلا مانع.

انتهى بتوفيق من الله.

اللقاء العلمي (٣)

(معالم في دراسة مناهج المفسرين)

أ.د.زيد بن عمر العيص

الرياض

مغرب يوم الأثنين ٢٢ /٣/ ١٤٣١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الشرعة الطريق الواضح أو غير الواضح، والمنهاج لا يكون إلا واضحًا..

تتضح دلالة المنهج في ضوء قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وفي ضوء كلام ابن الجوزي، وابن عاشور؛ وقد فصلت القول في هذه الدلالة في كتابي التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل فأغني عن ذكره هنا.

من خلال هذا العرض السريع نلحظ بعض الأوصاف في المنهج:

الوضوح، الاستمرار، الطريق المؤدي للغرض، والسبيل إلى المقاصد الحسنة.

لعلنا نستحضر هذه الإشارات فيما ذكرنا من تعريف.

أحسَب أن هناك معالمَ ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار حين يبدأ الباحث بدراسة منهج مفسر ما معين؛ أعرضها على عجل:

١- الرحيل إلى بيئة المفسر الخاصة والعامة، لأن المفسر ابن بيئته ومرآة عصره، يؤثر في هذه البيئة، ويتأثر بها ويظهر هذا غالبا في تفسيره.

وهذه المسألة تجيب عن مسألة الزعم بأن أصحاب التفسير التحليلي كانوا يعيشون خارج عصرهم، ويمكن لمن تأمل أغلب هذه الكتب أن يستخرج منها معالم البيئة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في عصره؛

معالم الجانب الاجتماعي في تفسير القرطبي ظاهرة ؛ حيث يتحدث عن الظلم السياسي والاقتصادي ويتحدث عن البدع والخرافات والموالد والقبور.

من المسائل التي نعرض لها هنا: توهم أن المفسرين لم يعرضوا لقضايا عصرهم، إن مهمة المفسر الكشف عن مراد الله، وأحسب أن الكشف عن مراد الله هو تعرض للواقع أيًّا كان.

والانتقال للبيئة العامة والخاصة يفسر لنا لم عني الطبري بالآثار وساقها بالأسانيد؟

لأن عصره كان عصر أسانيد. ولِمَ تجاوزها غيره من المفسرين؟ ولم عني الطبري بالرد على المعتزلة؟

والبيئة الخاصة مهمة أيضا ولو كانت من بعيد، تسهم في تكوين الشخص؛ مثلا: الطبري: في قوله تعالى: ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾[النساء:٣٤] فسرها: تربط في مضجعها كما يربط البعير، وانفرد بهذا التفسير، وربما لأنه لم يتزوج. وهذا مجرد رأي لا يقاس عليه وهو محل نظر.

٢- تجنب المقرر السابق، من كان لديه مقرر سابق بشأن مفسر بعينه فليتق الله ولا يتعب نفسه ولا يدرس منهج هذا المفسر، مثلا: تفسير الرازي (فيه كل شيء إلا التفسير)، و تفسير الظلال (ليس بتفسير عبارة عن رؤى وانطباعات وذوقيات، دونها وهو في سجنه)؛ ما وجدناه فيهما خلاف ما قيل لنا عنهما.

فينبغي أن يستبعد المقرر السابق في هذا المجال.

٣- قراءة مقدمة التفسير بتأنٍّ، فهي كعهد ووثيقة بين المفسر والقارئ.

لا شك أن المقدمات تتفاوت؛ مقدمة ابن عاشور علم مستقل برأسه، ومقدمة ابن جزي مقدمة راقية، مقدمة البيضاوي لا شيء بينهما.

والمقدمة تعتبر ميزانا لمحاكمة المفسر.

وبعض المقدمات فيها شرط للمفسر ينبغي أن يحترم اشتراطه.

-الثعلبي: خالف في تفسيره مقدمتَه؛ وقع فيما حذر منه في المقدمة. هل نقول إن الثعلبي في ضوء هذا منهجي أو غير منهجي؟ قلنا المنهج: هو الطريق الواضح، السبيل المؤدي إلى المقاصد الحسنة، هو الطريق الذي يظهر فيه الوضوح بالاستمرار.

في المقابل؛ الزمخشري صاحب منهج أو لا؟ هو من البداية قال:هذا التفسير لتأصيل وخدمة المذهب المعتزلي، وضعه سلاحا لأصحابه من المعتزلة لمقارعة الخصم.فلا بد من الحرص ما أمكن على الاستقراء التام، وتتبع كلام المفسرين ولا يكتفي بالانتقاء، لأن الاستقراء يعطي صورة كاملة لهذا الموضوع.

مثلا المفسر سيد قطب اتهم بالقول بوحدة الوجود، فجمع صلاح الخالدي النصوص بعضها إلى بعض فبرئ من هذه التهمة براءة الذئب من دم يوسف كما يقولون.

فهذه قضية مهمة: تجنب الانتقاء شرط للكشف عن المنهج ولابد من الاستقراء حتى يحكم على منهج المفسر، بخاصة أن الآيات دلالاتها ليست واحدة، أحيانا تكون دلالتها ظنية، والمفسر الأصيل أسير للنص أيا كان، فلما تكون دلالة الآية ظنية فلا يعبر عن هذا الموضوع كما لو كانت دلالاتها قطعية.

٤- التفريق بين تفسير آية ما وبين معتقد المفسر، وأقصد مثلا: ابن عطية: في قوله تعالى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۞ ﴾ [يونس:٢٦] لم يتحمس إلى

تفسير الزيادة بالرؤية، ومال إلى أنها مضاعفة الحسنات. كان هذا مدخلا لمن قال إنه يميل إلى مذهب المعتزلة في مسألة الرؤية؛ وهذا خطأ فادح، لأن المفسر أو أي عالم هو غير ملزم بجميع الأدلة التي سيقت في مسألة معينة، فهذه الآية قد لا تدل، وهذه لا تدينه من ناحية عقدية بحال من الأحوال؛ لأنه قد أثبتها في مواطن أخرى. فيوجه إليه النقد في التفسير لا في معتقد الرؤية.

وعلى هذا فقس؛ مثلا: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:٣١]، لا تدل عند بعضهم على تغطية الوجه في ضوء سبب النزول عنده، ومعنى الضرب، وحال النساء في الجاهلية.

٥- النظر في كتب المفسر الأخرى ما أمكن ذلك، بل يتوجب أحيانا، فإنه قد يجمل في التفسير ويفصل في غيره. مثال على ذلك: رأي الطبري في القراءات، كتاب القراءات سابق للتفسير، كيف يقال إنه رجع عن قوله في القراءات في كتابه القراءات، وكتابه هذا متقدم على تفسيره.

٦- استحضار أن رحلة التفسير طويلة، وأن المفسر بشر وقد تعتري المفسر ما الله به عليم، فقد يشترط على نفسه البعد عن الإسرائيليات ثم يقع فيها؛كما حصل لابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، ربما دخلت في ناحية غفلة.

والرازي في آية قال: وأنا أفسر هذه الآيات توفي ولدي محمد، وأبدى حزنه الشديد على موته، وأنا خطر ببالي شيء الآن. يأتي هذا الموقف ويدرس تفسير عشرين آية قبل هذا الخبر وعشرين آية بعد هذا الخبر، وننظر هل خالف منهجه، فإنه يكتب وهو مكلوم.

فنحن قد نجد أخطاء عند المفسر تحمل على هذا.

فبضعهم يقول: وهذا تناقض صارخ، وقد اضطرب المفسر! وهو ليس اضطرابًا لكن قد يغفل. ويضعف بسبب ما يطرأ عليه.

يقول ابن رجب: "يأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه".

٧- أننا في دراستنا لمناهج المفسرين نوصف ولا نحلل! وهذا خلل علمي وقصور؛ مثال ابن عطية: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ ﴾ [الحج:٢]؛ الحديث المشهور: «أتدرون أي يوم هذا..... قال الله لآدم: أخرج بعث النار»، ابن عطية لم يأخذ هذا الحديث في هذا الموضع، فسر الآية على أنها في الدنيا، فالذي يوصف ولا يحلل قد يجرؤ ويقول إن ابن عطية رد حديثًا! وهنا مسألة في غاية الأهمية أن الحديث ليس نصا في تفسير الآية، فالمسألة ليست إرهابا فكريا!، يعني ليس كل حديث فيه دلالة ولو من بعيد يكون نصا في الآية، فابن عطية هنا لم يرد الحديث.

اقرؤوا كلام الطبري وابن عطية: وهذا القول قول لولا مجيء حديث كذا..وذكر الحديث، الطبري لم يجرؤ على تجاوز الحديث لكنه ذكي نبّه أن ذلك القول قوي ووقفت عليه لولا هذا الحديث، في حين ابن عطية تجرأ على هذا، وحُق لتفسيره أن يسمى المحرر.

٨- معرفة شيوخ المفسر وتلامذته، لأنها تلقي بعض الضوء على منهج الرجل، وقد تكمل بعض الفراغات في منهجه وفي سيرته، أحيانا عندنا كلام في

عقيدة الرجل أو موقف له في مسألة ما؛ إذا ضاقت علينا السبل أن نجد ذلك من فمه فالنظر في سيرة شيوخه وتلامذته يكون لها أثر في ذلك.

٩- استحضار أن دراسة المنهج تعني كشف الحسنات وكشف السيئات، وليس فقط تسليط الضوء على السلبيات، وليست المسألة مبارزة، فليس كلما استطاع الباحث أن يثبت أن المفسر قصّر في هذا المجال وأخطأ في هذا المجال، وأورد حديثا ضعيفا إذن أنت متقن في دراسة المنهج؛ لا، المحصلة أن منهج فلان أو فلان هل كان محققا للغرض؟ هل استمر؟ وهل كان واضحا؟

متى يكون المفسر منهجيًّا ومتى لا يكون منهجيًّا؟ أهي مرتبطة بحسن النية؟ بناء على التعريف (السبيل المؤدي للغرض)

أو يكون المنهج منهجًا صحيحًا بأن يكون مؤديا للغرض بغض النظر عن هذا الغرض الآن، حسن النية لا صلة لها بسلامة المنهج فالثعلبي صالح وحسن النية ومنهجه محل نظر.

المداخلات:

عبد الحكيم القاسم: بعد هذا الموضوع الذي تناولته أين دور الجمعية في التعريف والتغيير؟ ألا يكون هناك حاجة أن يكون مثل هذه المواضيع في مناهج السنة المنهجية؟

ما دور المذهب الفقهي في توجيه المذهب؟

– **عبد الله:** ما أبرز الفوائد العلمية أو العملية التي يستفيدها الباحث من خلال دراسة المنهج؟ ما الاشياء التي يقدمها للدارسين؟ هل تفيد في إعداد المفسرين، أو تفيد في النواحي العلمية لدراسة مسائل التفسير؟

أجوبة أ. د. زيد: المذهب الفقهي في أحيان كثيرة يجني على التفسير، وعلى المنهج وكتب أحكام القرآن شاهدة بذلك.

سؤال عن الإسرائيليات: الذي أعلمه أن في تفسير ابن كثير عدداً لا بأس به من الإسرائيليات لكن لا أستحضر مواضعها.

أبرز فوائد دراسة المناهج:

بيان مواطن الإفادة منه، وبيان قيمته، وإذا كان المنهج موصلا للغرض يصبح سنة يتبع فيها، ثم إنه من خلالها نضع أصول التفسير.

التعقيبات والمناقشات والأسئلة:

– لدي إشكال: تفسير السعدي المأثور فيه قليل، والذي يظهر لي أن التفسير يعد من التفسير بالرأي.

– **مداخلة:** فرج الله عنك ياشيخ زيد كربة من كرب يوم القيامة كما فرجت عني الكربة التي ضيقت علي صدري وهي **قصة أن هناك من يقسم التفاسير قسمين تفسير ملتزم وتفسير منحرف.**

– **سيف الحارثي:** هل من التحرر أن نتحرر عن المعالم السابقة؟إذ كل

مفسر ممكن يتميز بشيء عن غيره من المفسرين.

– برز في الرسائل جمع أقوال المفسر ممن ليس متخصصا في التفسير ويلزم الباحث بدراسة مناهج هؤلاء، فهل تنطبق هذه المعالم العامة على المعالم الجزئية؟ بمعنى إذا كان للعالم مائة قول في التفسير فهل تعد المنهج الذي سار عليه كمن فسر القرآن كاملا؟

أجوبة:

بالنسبة لتفسير السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ جاء في سياق المقارنة والتقويم، يعني لا نثمن التفسير إذا كان ممتلئا بالروايات، وذكرته في مقام الثناء عليه، تفسير متميز وأخطاؤه لا تكاد تذكر فيما بدا لي، ولكنه لا يعد من المأثور بمعنى أنه أورد الروايات كما صنع ابن كثير وابن جرير، ولا شك أنه هضم تفسير السلف كالنحلة ثم أخرج هذا التفسير، أُصَنِّفُه أنه تفسير بالرأي، ولا يعني أن المأثور الأصل صوابه مالم يثبت خلافه، وأن الرأي الأصل الخطأ ما لم يثبت صوابه، هذا كلام يلقى خارج الساحة العلمية.

بالنسبة لابن عطية: نحن نتحدث عن منهج وليس عن هذه الآية، هو أخطأ، وبالمناسبة عبارته دقيقة: ولولا كثرة القائلين لترجح...

تقويم كتب التفسير يقوم على التأصيل لا على التطبيق لأنه قد يخطئ أحيانا في التطبيق.

مثلا: تفسير الصحابة مصدر من مصادر التفسير؛ إذا كان تقديم رأي الصحابي من أصوله فهو محمود، وفي التطبيق ربما يقدم رأي تابعي، ولو تركنا

كل تفسير فيه أخطاء لم يسلم لنا تفسير.

وهذه مسألة تريح.

إذا توافقت أصول تفسيره مع أصول الدين فهو تفسير محمود وإلا فلا.

المقرر السابق تجنب الوسيط بينه وبين المفسر، لا يتجرد المفسر من كل شيء هذا مستحيل أن يتجرد من المعتقدات والأصول. كانوا يقولون: الفخر الرازي فيه كل شيء إلا التفسير، والآن أكثر بحوثي الآن أرجع للرازي لكن لا نخلط بين الأوراق نعرف من الرازي، وماذا يخرج من رأسه أشعري جلد، لكن في التقسيم للمسائل فيه خير كثير.

لكن أن تدخل بمقدمات لك ومعتقدات لابد وإلا كيف تزن؟! هذا الذي أردت.

- جمع أقوال فلان في التفسير؛ هذا مخرج رسم لتفريج كرب على طلاب الدراسات العليا، الذي قال أقوال متفرقة في التفسير لا يسمى مفسرا، مثل الذي يقول بيتين ثلاثة لا يسمى شاعرا، ولا يمكن أن ينتزع منهج من أقوال متفرقة إطلاقًا، وخاصة هذه الأقوال قد تبدو صحيحة.

- ففرق بين من يفسر وقصده التفسير ابتداء، وبين من يفسر للانتصار لقضية عقدية أو فقهية؛ مثلا ابن قدامة ساق الآيات استدلالا، وليس قصده تفسيرها.

فرق بين من يأتي بها استقلالا، وأما من يأتي بها استدلالا مظنة المقرر السابق سيطر عليه.

فالمفسر يكون منحازا إلى التفسير ولا يخاف من الضغط الاجتماعي.

نحن أحيانا نحمل حملة على أصحاب التفاسير المنحرفة (الأشاعرة المعتزلة والجهمية..) لأنهم حصلت منهم جنايات على النص هذه الجناية حصلت منهم لسوء نية وسوء قصد؛ نحن بحسن نية نجني على النص، أحيانا نتفق معهم في الجناية حجتنا أننا نسوقه بمقصد حسن.

مثلا آية نجعلها تدل على مسألتنا العقدية، وهي لا تدل إلا من بعيد.

فينبغي أن نتنبه فلا نقع في جناية على النص القرآني نتيجة الضغط الاجتماعي، كما حصل لكثير ممن كتب في التفسير. مثل آية: ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر:١].. للتعجيز، مثل آية ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء:٥٠].

أ.د. محمد الشايع: أؤكد على أهمية دراسة مناهج المفسرين وتحديد مفهومه ومعناه بشكل واضح، لأنه لا يزال غير واضح تحديدا واضحا في أذهاننا، يحتاج لمكاشفة ومصارحة لكيفية تحديده.

– ونحن في حاجة إلى تنوع المناهج،وليست هناك ضرورة ملحة إلى أن نحدد منهجا وحيدا، وندعو للمسار عليه والالتزام به. كما أن السؤال عن أفضل تفسير سهل، جوابه صعب لاختلاف طبيعة الناس واحتياجاتهم وميولهم.

– وبالنسبة للمفسرين فالإنسان ابن بيئته وابن ثقافته، لا يمكن أن ينتزع منها وتصوغ منه نموذجا منفردا ومتميزا مستقلا عما حوله، لا يتحقق هذا، ولكن قد يهذب الإنسان نفسه ويصحح نفسه ولكن يظل تأثير البيئة عليه

واضحا.

– التفسير بالمأثور والرأي هذا مصطلح درجنا عليه و لم نفهمه في ظني الفهم الصحيح، فالتفسير المأثور غير المرفوع للرسول ﷺ إنه مأثور بالنسبة لنا، واجتهاد واستنباط ورأي بالنسبة لقائله، وصار تفسيرا بالمأثور بالنسبة لنا. لو أخذنا هذا النظرة استطعنا أن نقارب بينها وبين ما نسميه تفسيرا بالمأثور.

أ.د. إبراهيم الدوسري: تكلم د زيد عن خبرة في هذا الموضوع..

فيما يتعلق بالإمام ابن كثير لا يورد الإسرائيليات وإن أورد شيئا فإنه يعقب عليها، ونادرا جدا يتركه بلا تعليق. هذا ما وقفت عليه.

– وفيما يتعلق بمفهوم التفسير نحتاج إلى تحرير، ونعرف أن بعض المفسرين السابقين كلهم يقولون نحن لا نريد تفسير القرآن الكريم،وإنما إشراقات: (الماتريدي، وعبد الرحمن السلمي، وسيد قطب).

نحن نحتاج وضع أصول مناهج المفسرين، وتحديد المراد بالتفسير. أرجو من الجمعية أن نعيد مناقشة أصول مناهج التفسير قبل مناهج المفسرين. ولو فتحنا لكل من أراد أن يتكلم عن مناهج المفسرين لأصبح القرآن لعبة في أيدي كثير من أهل الأهواء ومعانيه لعبة في أيديهم، نحن نريد أن نقرر هذا بناء على فهم الرسول ﷺ وفهم الصحابة.

أ.د. زيد: الذي في ذهني أن عددا من الإسرائيليات والموضوعات لم يعقب عليها ابن كثير.

ولا شك نحن بحاجة إلى وضع منهج في التفسير، لمحاصرة أولئك الذين

دخلوا على كتابة التفسير. وهذا لا يعيبه، لأننا ذكرنا في المعالم أن رحلة التفسير طويلة.

وكذلك التفسير بالمأثور نحن قد لا نكون مجبرين على الأخذ بالأقوال في التفسير بقدر ما نحن مجبرين على الأخذ بمنهج السلف في التفسير بالمأثور، ومحاولة التأصيل للتفسير بالمأثور من خلال ما ورد عنهم من كلام.

- أذكر على عجالة لما كتبت رسالتي في تعريف التفسير بالمأثور قصرته على القرآن الكريم، و ما صح من السنة، مما يكون له صلة بالآية، وأما أقوال الصحابة والتابعين فهي مأثورة لغة، وعظمت هذه الأقوال في عصرها في مقابل أهل البدع. أمرني فضيلة الأستاذ المشرف: محمد الراوي -حفظه الله- أن أحذفها، فقلت له: إذا اعترضوا عليها أقول أن الشيخ أصر على حذفها وأنا أصريت على أن تبقى. قال: نعم دعها.

لم يعترض عليها أحد لأنهم فيما يبدو لي مقتنعون بها لكن الضغط الاجتماعي!... أنا لست أنال من مقام الصحابة والتابعين؛بل أنا على رأي شيخ المفسرين: (من قال:إن أبا بكر وعمر ليسا بإمامي هدى؛ أيش هو؟ قال ابن صالح: مبتدع، قال الطبري: مبتدع مبتدع؟! هذا يقتل هذا يقتل!).. لكن لا نخلط بين الأمور، لا نتعصب لأقوال الصحابة والمفسرين على حساب النص القرآني. ا. هـ.

جزى الله الشيخ خير الجزاء.

اللقاء العلمي (٢٥)
(كيف نواجه حملات التشكيك المعاصرة حول القرآن الكريم؟ المنهج والتطبيق)

أ.د. أحمد سعد الخطيب

الرياض

مغرب يوم الإثنين ٢٥ /١١ / ١٤٣١هـ

بعد أن شرفتني الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه بأن أحاضر بين يدي هذه الثلة المباركة من رجالات الدراسات القرآنية كنت قد عزمت أن يكون موضوع هذا اللقاء " **التفسير وإشكالية الهُوية في العقل المعاصر** ".

وهو موضوعٌ لا زال له في ذاكرتي اهتمامٌ بالغٌ، أسأل الله ﷻ أن يوفق بعض مشايخنا في لقاءاتٍ قادمةٍ إلى اقتحامه ومعالجته.

لكنني نزَلت عن رغبتي هذه إلى رغبة بعض مشايخنا في اللجنة العلمية في أن يكون موضوع اللقاء متعلقًا بحملات التشكيك حول القرآن الكريم في الوقت الحاضر، وكيف يمكننا التعامل معها من خلال منهجٍ مؤصلٍ، يفتح الباب أمام كل من يهوى النقد، ليرقيه إلى مستوى احتراف النقد.

والواقع أنّنا نحن بحاجةٍ إلى جيشٍ عرمرمٍ من الناقدين المحترفين؛ ليناط بهم مواجهة حملات التشكيك حول القرآن، والتي تزداد يومًا بعد يومٍ.

لأجل هذا كان هذا اللقاء تحت هذا العنوان:

كيف نواجه حملات التشكيك المعاصرة حول القرآن الكريم؟ (المنهج والتطبيق):

مدخل الموضوع:

شهدت الآونة الأخيرة تصاعدًا ملحوظًا واعتناءً واضحًا من قبل الحاقدين على الإسلام بعرض الشُبه حول القرآن الكريم سواءً القديم منها بإعادة طرحه، أو ما يزعمون أنه جديد، وهو في أغلبه قديمٌ مكرورٌ.

وقد أسهم في ذيوع هذه الشبهات ثورة الاتصالات الهائلة، التي وصلت

أطراف العالم بعضها ببعضٍ، حتى بدا كأنّه قريةٌ صغيرةٌ، ممـــا أدى إلى انتشـــار وسائل المعلومات وتعددها مع استحالة السيطرة عليهـــا، خصوصًـــا شـــبكة الإنترنت التي تقتحم بيوتنا وتدخل غرف أبنائنا؛ لتفتح أذهانهم على مساوئ ما كانوا ليعرفونها لولا هذا الانفتاح، لاسيما مع الاستغلال السيِّئ لهـــذا التقـــدم الملحوظ في تكنولوجيا الاتصالات.

لكن يبقى أخطر شيءٍ يمكن أن يواجهه مجتمعنا المسلم هو ذلـــك الغـــزو الفكري، الذي يتخذ من القرآن عدوًا له، ويحاول من خلال أكاذيبه وشبهه، أن يحدث قطيعةً بين المسلمين والقرآن.

وقد يغتر البعض – قلّوا أو كثروا – بهذا، لأن تعمد الإلبـــاس والتزييـــف مقصودٌ عند المشتبهين، وما سميت الشبهة بهذا إلا لكونها تلبس الحـــق ثـــوب الباطل والباطل ثوب الحق فيقع الاشتباه فيغتر بها من لا يمتلك رصيدًا من وعيٍ ولا ثقافةٍ مضادةٍ ليقع فريسةً سهلةً في شباكِ هؤلاء.

كل هذا وأهل الاختصاص مختلفون فيما بينهم في أمر مواجهة هذا الخطـــر البيّن:

مواقف بعض المختصين في العصر الحاضر من مسألة طرح الشبه والإجابة عنها:

فمن قائلٍ:الأولى أن ندع الشبهة تموت بدلًا من الرد عليها.

لكن الواقع يؤكد أن الشبه لا تموت بل يتوفر لها دائما ممن يعمـــل علـــى إحيائها وبعثها من جديدٍ.

ومن قائلٍ: مهما رددنا من شبه فلن نأتي عليها جميعًا، ولن نستطيع إلجام الخصوم، ومنعهم من طرح المزيد.

وعلى فرض التسليم؛ فليس هذا مسوغًا للتقصير في حق الدفاع عن القرآن، وتبليغ منهجه الصحيح للكافة، وما كان بعث المرسلين وإرسالهم بقاضٍ على الكفر بالله وبهم، وما كان عدم التصديق بهم مندوحةٌ لترك البلاغ.

ومن قائلٍ: نخشى بعرض الشبه أن يتشربها من لا يعرفها والأدهى أن يتشربها من يدافع عنها.

ونقول: هذه خشية إن جازت على العوام وأنصاف المثقفين؛ فلا يجوز أن تكون مع أهل القرآن والعلم به. كيف وهم المنوط بهم الدفاع عن القرآن؟

و إذا خشينا على أهل القرآن والعلم به الارتياب فماذا بقي لغيرهم؟! وإذا لم يتصد هؤلاء للدفاع عن القرآن فمن لذلك؟

إنّ الإيمان يقينٌ وثباتٌ وصدقٌ وإخلاصٌ وجهادٌ، وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

ولذلك كان شأن علماء الأمة المعتبرين مقاومة أهل الإلحاد والبدع وقطع الطريق أمام شبهاتهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (درء تعارض العقل والنقل):" كُلُّ مَنْ لَمْ يُنَاظِرْ أَهْلَ الْإِلْحَادِ وَالْبِدَعِ مُنَاظَرَةً تَقْطَعُ دَابِرَهُمْ لَمْ يَكُنْ أَعْطَى الْإِسْلَامَ حَقَّهُ وَلَا وَفَّى بِمُوجِبِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَلَا حَصَلَ بِكَلَامِهِ شِفَاءُ الصُّدُورِ وَطُمَأْنِينَةُ

النُّفُوسِ وَلَا أَفَادَ كَلَامُهُ الْعِلْمَ وَالْيَقِينَ "[١].

وفي موضعٍ آخر من ذات الكتاب بين رَحِمَهُ اللَّهُ أنّ المناظرة بالحق تكون واجبةً تارةً ومستحبةً تارةً أخرى.

وذكر الطوفي أن تعلم الجدل لإظهار الحق فرض كفايةٍ لما في ذلك من المصلحة التي قد تفوت بفواته.

وقال في كتابه (علَم الجذل في علم الجدل):" ومما يدل على أنّ علم الجدل فرض كفايةٍ قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦] أي جادلوهم وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[النحل: ١٢٥] وذلك أمرٌ بالجدال لإظهار الحق والأمر يقتضي الوجوب عينا، لكن تُرِك التعيين لحصول مصلحته بالبعض، وبقي في الكفاية على مقتضى الأمر، ولأنه حسنٌ عقلًا وشرعًا، وورد الشرع باستدعائه، وما كان كذلك فهو واجبٌ، ووجه حسنه ظهور الحق به"[٢].ا.هـ بتصرفٍ يسيرٍ.

وكيف يغيب عنّا مناظرة ابن عباسٍ للخوارج؟ ومناظرة عمر بن عبد العزيز لغيلان القدري؟ ومناظرة الإمام أحمد لمن ادعوا خلق القرآن؟ وكذلك مناظرات غيرهم وغيرهم، وتاريخ الإسلام حافلٌ بمثل هذه المناظرات التي كان هدفها إظهار الحق.

---

(١) درء التعارض ١/ ٣٥٧، وانظر: التسعينية ١/ ٢٣٢.

٢ عَلَم الجذل في علم الجدل" لنجم الدين الطوفي، بتحقيق المستشرق "فولفهارت هاينريشس" صـ٧

القرآن هو أول من دافع عن نفسه ودفع شبه المفترين:

الشُّبه لا تخيفنا في شيءٍ، والقرآن الكريم هو من حكى شبه المخالفين عن نفسه، وهذه فريدةٌ من فرائد القرآن، فإنّنا لم نعهد كتابًا قطُّ على وجه الدنيا يحكي افتراءات المخالفين له واتهاماتهم ضدَّه كما فعل القرآن الكريم، وهكذا تكون الثقة في النفس، فالقرآن لا يخشى منتقديه، وله في مناقشتهم منهاجٌ جدليٌّ هو أعلى ما عرفه علم الجدل من مناهج، وله منطقٌ وقوة حجةٍ في استدلالاته هو أعلى ما عرفته الدنيا من فنون الاستدلال وأقواها إقناعا.

وفي مجال دفع شبه المفترين ومجادلتهم يزخر القرآن الكريم بالكثير من الحجج والبراهين التي لا يمكن لمنطقٍ قديمٍ أو جديدٍ أن يبلغ شأوها، ولا أن يقاربها جمالًا ورونقًا، فضلًا عن يقينية المقدمات والنتائج التي لا توجد لها نظائرٌ فيما سواه.

وصدق الغزالي أبو حامدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ حين وازن بين الأدلة القرآنية وأدلة المتكلمين المعتمدة على المنطق الأرسطي فقال:" أدلة القرآن مثل الغذاء، ينتفع به كل إنسانٍ وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس، ويستضِرُّ به الأكثرون، بل إن أدلة القرآن كالماء الذي ينتفع به الصبيُّ الرضيع، والرجل القويُّ، وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الأقوياء مرةً، ويمرضون بها أخرى، ولا ينتفع بها الصبيان أصلًا "[(١)]. ا.هـ

(١) إلجام العوام عن علم الكلام، الإمام الغزالي، ٣١٥، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، وفي رسالةٍ صغيرةٍ إلجام العوام عن علم الكلام ص٢٠.

وهذه بعض آيات القرآن الجدلية في مواجهة المشتبهين عليه:

قال المشركون وقد أعياهم تحديد مصدر القرآن بعد أن جحدوا كونه وحيًا من عند الله، قالوا: لقد علَّمهُ إياه فلانٌ في إشارة لغلامٍ أعجميٍّ غير عربيٍّ، فحكى القرآن قولهم هذا وفنده في وجازةٍ بالغةٍ قطع بها ألسنتهم بحيث لم يبق لهم حجةٌ تؤيد ما قالوا، قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

ثم جاوزوا هذا الأمر واتهموه بأنّه أساطير الأولين تملى عليه ﷺ، فحكى القرآن قولهم، ورد عليه مع حكايته، فقال ﷻ: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٥٠٦].

أي: إنّ هذا الكتاب قد اشتمل على أسرارٍ لم تحط بها أساطير الأولين، ولا يعرفها أحدٌ فكيف تصح التُّهمة؟

هذا، والآيات القرآنية التي تولت محاجة الكفار حول القرآن الكريم وصدق الرسالة كثيرةٌ جداً، والأساليب الجدليّة المعنيّة بهذا متنوعةٌ في الكتاب العزيز ففيه من أنواع الجدل: (السجال، الانتقال، التسليم، القول بالموجب، السبر والتقسيم، المناقضة، مجاراة الخصم، إلجام الخصم بالحجة، القياس الإضماري، قياس التمثيل، قياس الخلف، قياس الشبه، قياس العلّة، المذهب الكلامي) وغير ذلك من أساليب الجدل.

مصادر الشبهات وروافدها:

الرافد الأول :وجود ثغراتٍ في التراث الإسلاميِّ:

لا بد من أن نمتلك جرأة القول ونعترف بأنّ هنـــاك ثغـــراتٌ في فكرنـــا الإسلاميّ، وذلك في بعض كتب التراث التي تحتاج إلى دراساتٍ ناقدةٍ تكشف عن خطورة ما فيها، مما يتعارض وقدسية كتاب الله ﷻ.

ومن أخطر هذه الكتب على الإطلاق كتاب " المصاحف " لابن أبي داود[١] الذي يعدُّ المرجع الأول في الكلام عن تاريخ القرآن، وخصوصًا ما يتعلق بجمعه

---

(١) هو الإمام عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن عمران الأزدي السجستاني، الشهير بابن أبي داوود، يكنى بأبي بكر، وُلد ابن أبي داود بسجستان سنة ثلاثين ومائتين، نشأ الإمام ابـــن أبي داود في بيت علمٍ وصلاحٍ، وتحت رعاية والده الإمام الحافظ أبي داود السجستاني، وقد مدحه علمـــاء عصره، فقال الحافظ أبو محمد الخلال فيه:كان ابن أبي داود إمام أهل العراق، ومن نصـــب لـــه السلطان المنبر، وقد كان في وقته بالعراق مشايخ أسند منه، و لم يبلغوا في الآلة والإتقان ما بلـــغ هو.

وقال عنه الخليلي:" الحافظ الإمام ببغداد في وقته، عَلَمٌ، متفق عليه، إمامٌ ابن إمامٍ. واحتج به من صنف الصحيح؛ أبو علي الحافظ النيسابوري وابن حمزة الأصبهاني ".

وقال عنه الذهبي: " وكان من بحور العلم، بحيث إنّ بعضهم فضله على أبيه ". **وقد وقع في كتابه " المصاحف"** ببعض الهفوات بروايته للآثار الضعيفة التي استغلتها الرافضـــة، والمستشـــرقون، والتنصيريون في التشكيك بثبوت القرآن، ونزاهة الصحابة – رضوان الله عليهم – قال عنه الذهبي في السير:" وليس من شرط الثقة أن لا يخطئ ولا يغلط ولا يسهو، والرجل من كبـــار علمـــاء الإسلام، ومن أوثق الحفاظ رَحِمَهُ اللَّهُ ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ ليلة الإثنين، لثمان عشرة خلت من ذي الحجة، سنة ست عشرة وثلاثمائة.

وتدوينه.

وهو كتابٌ مليءٌ بالثغرات، محشوٌّ بالأخطاء العلميَّة، والروايات التي تطعن في النصِّ القرآني من جهة توثيقه.

ولقيمته في التشكيك احتفى به المستشرقون أيّما احتفاءٍ، حتى كان الذي تولى نشره المستشرق (آرثر جفري) وكان ذلك عام ١٣٥٥هـ ١٩٣٦م، وقدّم له بمقدمةٍ خطيرةٍ تنتهك قدسية القرآن، تأثّر فيها كل التأثر بالمستشرق الألماني (نولدكه) في كتابه (تاريخ القرآن)، حيث أثنى عليه عاطر الثناء، وقد ساعده على ذلك مادةُ كِتَابِ "المصاحف" المليئة بالترهات والأباطيل.

هذا والكتاب وإن كان خرج محققًا فيما بعد في جامعة أم القرى من خلال الدكتور محب الدين عبد السبحان واعظ، غير أنّه يحتاج إلى دراسةٍ من نوعٍ جديدٍ، دراسةٍ ناقدةٍ تقويميةٍ، يُنَبَّه فيها على ما فيه مخاطر، ثم تردف بعملية تقويمٍ وتصويبٍ يردُّ فيها الحق إلى نصابه.

والمقترح عندي في هذا أن يتجرد لهذا العمل المهمّ طالبان من طلاب الدكتوراه ممن لهم تمكنٌ ورغبةٌ في العمل النّقدي؛ ويبدأ النقد من دراسة صاحب الكتاب نفسه وهو: أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني. الشهير بابن أبي داود نسبة إلى أبيه أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني صاحب السنن.

ولماذا قال أبو داود عن ابنه عبد الله صاحب كتاب المصاحف: ابني عبد الله

هذا كذاب[١]؟

وأنبه أيضًا على كتابٍ عزيزٍ على النفس، لأنّه أصلٌ في بابه، لا يستغني عنه باحثٌ في الدراسات القرآنية، وهو كتاب الإتقان للسيوطي فهو على قيمته في بابه، إلا أنّه في حاجةٍ أيضًا إلى دراسةٍ ناقدةٍ، تنقي ما فيه، مما لا يليق وكتاب الله ﷻ.

ومن ذلك ما قاله صاحب الإتقان وهو بصدد الحديث عن نزول القرآن الكريم على النّبي ﷺ من زعمٍ يؤدي إلى سلب القرآن أخصّ خصائصه، وهو كونه مترلًا من عند الله لفظًا ومعنىً حيث قال: "في المنْزل على النبي ﷺ ثلاثة أقوالٍ:

أحدها:أنّه اللفظ والمعنى وأنّ جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به.

والثاني:أنّ جبريل إنّما نزل بالمعاني خاصّةً، وأنّه ﷺ علّم تلك المعاني وعبّر

(١) نقله ابن عدي في الكامل في الضعفاء ٤/ ٢٦٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٩/ ٨٦ والذهبي في كتابيه تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٣٨ وميزان الاعتدال. وابن حجر في لسان الميزان ٣/ ٢٩٤ وغيرهم)

قال الذهبي ــ بخصوص هذه اللفظة (**ابني عبد الله هذا كذاب**) ــ:" قُلْتُ: لَعَلَّ قَوْلُ أَبِيْهِ فِيْهِ – إِنْ صَحَّ – أَرَادَ الكَذِبَ فِي لَهْجَتِهِ، لاَ فِي الحَدِيْثِ، فَإِنَّهُ حُجَّةٌ فِيمَا يَنْقُلُهُ، أَوْ كَانَ يَكْذِبُ وَيُوَرِّي فِي كَلاَمِهِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لاَ يَكْذِبُ أَبَدًا، فَهُوَ أَرْعَنٌ، نَسْأَلُ اللهَ السَّلاَمَةَ مِنْ عَثْرَةِ الشَّبَابِ، ثُمَّ إِنَّهُ شَاخَ وَارعَوَى، وَلَزِمَ الصِّدْقَ وَالتُّقَى ". [سير أعلام النبلاء] – (٢٥ / ٢٢٩)

عنها بلغة العرب، وتمسك قائل هذا بظاهر قوله – تعالى -: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤].

والثالث:أنّ جبريل ألقى عليه المعنى وأنه عبّر بهذه الألفاظ بلغة العرب وأنّ أهل السماء يقرؤونه بالعربية ثم إنّه نزل به كذلك بعد ذلك"[(١)].

والسيوطي ينقل ذلك متابعًا البرهان للزركشي[(٢)]، فهل يليق أن يدوّن هذا الكلام في أهمّ كتب التراث؟ ثم هل يليق بنا أن نقرأ هذا الكلام، ولا ننبه على ما فيه من خطورةٍ، ثم نعلمه لطلابنا وهم بدورهم سيعلمونه لطلابهم وهلم جرًا؟

ومن ذلك أيضًا ما نقله السيوطي وهو بصدد الحديث عن الحروف المقطعة التي افتتحت بها بعض سور القرآن الكريم، عن الخويبي ما يوحي بأنّ هذه الحروف ليست مقصودةٌ لذاتها بل قُصد بها إيقاظ النبي ﷺ وتنبيهه لسماع القرآن والتهيؤ له فقال في ذلك:" وقال الخويبي: القول بأنها تنبيهاتٌ جيدٌ لأنّ القرآن كلامٌ عزيزٌ وفوائده عزيزةٌ فينبغي أن يرد على سمع متنبهٍ، فكان من الجائز أن يكون الله قد علم في بعض الأوقات كون النبي ﷺ في عالم البشر مشغولًا،

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي - (١ / ١٢٥) و كتاب: الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون، للسيوطي، (١ / ٣٢٢)، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، طباعة: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

(٢) أنظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

فأمر جبريل بأن يقول عند نزوله: الم، والر، وحم، ليسمع النبي ﷺ بصوت جبريل فيقبل عليه ويصغي إليه" ا.هـ[١].

أستحلفكم بالله، هل يمكن قبول مثل هذا الكلام الذي قد يفهم منه أنّ الحروف المقطعة خارج النص القرآني، وأنّ جبريل ربما أمر بأن ينبه بها رسول الله ﷺ حال كونه مشغولًا؟ وناهيكم عن موضوعاتٍ أخرى ليس هذا محل تفصيلها، فإنّ بعض كتب التراث تحتاج منّا إلى إعادة قراءتها من جديدٍ، بفهمٍ ووعيٍ يتره القرآن الكريم عما لا يليق به، ويقصي عنه ما لا فائدة فيه، بل ما يضرّ ولا ينفع.

الرافد الثاني للشّبه حول القرآن هم: الرّوافض:

وأكثر شبههم المؤثرة تتعلق بقصة جمع القرآن وادعاء نقصانه وتحريفه، وتعتبر شُبه الروافض رافدًا مهمًا جدًا يستقي منه المستشرقون والنصارى مادتهم التشكيكية.

ويكفينا لكي نرى هذا بأنفسنا أن نرجع إلى ما سطره علي بن إبراهيم القمي في تفسيره، وكذا الكليني في الكافي، والنوري الطبرسي في كتابه (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب)، وأبو الحسن العاملي في مقدمته (مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار) على تفسير (البرهان) لهاشم البحراني، ونعمة الله

---

(١) الإتقان في علوم القرآن - (٣ / ٣١) تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

الجزائري في (الأنوار النعمانية) وقائمةٌ طويلةٌ عريضةٌ من هذه المصادر والمراجع.

وهذه مسألةٌ جدّ مهمة، ومقاومتها جهادٌ أكبر.

الرافد الثالث للشّبه حول القرآن:المستشرقون :

وهؤلاء قد أغراهم ما وصلوا إليه من نتائج حول دراسة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، من نتائج باهرةٍ قطعت بأنّ هذا الكتاب لم يكتب في عهد أنبيائه، وبأنّه قد تأثّر بثقافات عصر كتابته، ولقد فرحوا بالوصول إلى هذه النتائج في إثر إخضاع هذا الكتاب المقدس لمنهج النقد الأعلى و منهج النقد الأدنى.

فظنّ بعض الغربيين ومن تأثروا بهم من أبناء جلدتنا ممن اتشحوا بوشاح العلمانية أو التنوير والحداثة، أنّ بإمكانهم الوصول إلى نفس النتائج مع القرآن الكريم، وهو الأمر الذي أعلن فشله كثيرٌ من الغربيين ومنهم المستشرق الإنجليزي (آربرى) وكذلك المستشرق السويدي " تور أندريه " مؤلف كتاب "محمد: حياته وعقيدته "وغيرهما، ومعهم كامل الحق لأنّ القرآن الكريم قد ثبت يقينًا وبطرق التواتر المفيدة للعلم الضروريّ، أنّ توثيق هذا الكتاب وحفظه صدرًا وتدوينه كتابةً تم في عهد صاحب الرسالة ﷺ، و لم يكن ذلك منذ عهد بعيدٍ منّا، فألفٌ وأربعمائة سنةٍ في عمر الزمن شيءٌ يسيرٌ، بالإضافة إلى هذه الخصوصية التي لم تتوفر لأي نصٍّ آخر على الإطلاق، من التداول الشفاهي لهذا الكتاب الخالد، من لدن عهد النبي ﷺ، وإلى عصرنا الحاضر، طبقةً عن طبقةٍ، وجمعًا عن جمعٍ، تحيل العادة تواطؤهم على الكذب.

الرافد الرابع: العلمانيون الحداثيون أحفاد الماركسيين وأبواق المستشرقين

لو نظرنا إلى الواقع فإن العلمانيين العرب قد تأثروا، بل تمذهب كثيرٌ منهم بالماركسية، التي هي أسُّ البلاء الفكري في بلادنا، وعشقوها ودافعوا عنها، وعملوا على تثبيت دعائمها من خلال ما بات يعرف بالقراءات المعاصرة، أو العصرانية للقرآن الكريم.

وقد حاول بعضهم أن يستتر تحت شعار اليسار الإسلامي، وهي محاولةٌ - في رأيي - تشبه ما يُعرف بمبدأ التقية عند الباطنية والروافض.

وتحت غطاء التحديث والتجديد، وركوب مركبة المجاز الذي ليس له أدنى صلةٍ بالحقيقة فيما يسمونه - هم - بالتأويل، خرجوا علينا بتأويلاتٍ يأباها الكتاب العزيز، وترفضها أصول الإسلام ومقاصده.

وقد ظهر هذا – جليًّا - في دراسات:نصر أبو زيد وحسن حنفي و أركون وشحرور والجابري وغيرهم...

والأخطر من ذلك، المسائل الجزئية التي توصلوا إليها جرّاء هذه القراءة المعاصرة، كإلغاء الحدود، وإباحة الربا، وتسوية الذكر بالأنثى في الميراث، وإنكار مشروعية الحجاب.

أقول: والأخطر من هذا، هو محاولاتهم ترسيخ منهجٍ في فهم النص الكريم، لا يُرى للنص فيه أيُّ اعتبارٍ إلهيٍّ، ولا غرو فهو في نظرهم منتجٌ ثقافيٌّ تاريخيٌّ، ولا يعدو أن يكون مرحلةً تطوريةً خاصةً بعصرها، وهو تطورٌ لابدّ أن يُفهم في

ظلِّ ما يعرف عند الماركسيين بالديالكتيك[١] أو المادية الجدلية والمادية التاريخية ومن خلال هذه الرؤية الجدلية، يؤمن الماركسيون بأنّ كل تطورٍ في أيِّ اتجاهٍ هو تطورٌ ماديٌّ طبيعيٌّ، وليس له اتصالٌ ميتافيزيقيٌّ أو غيبيٌّ، فلا مكان للغيب في الفلسفات المادية.

تلك هي قصة العصرنة والتحديث، التي يحاول الحداثيون جرّنا إليها، ومن وسائلهم في سبيل تحقيق أغراضهم بجانب المدخل التأويلي الذي ألمحنا إليه مدخلٌ آخر هو:

المدخل المقاصدي:

وهو مدخلٌ مهمٌ جدًا؛ وذلك أنّنا إذا كنا نحاول الآن التأصيل لعلمٍ جديدٍ من علوم القرآن هو علم "مقاصد القرآن" فإنّ الخطاب العلماني يحاول أن يسبقنا إلى فهمٍ جديدٍ لمنظومة المقاصد لا يُعوّل فيها على حفظ كليات الإسلام وضروراته، وذلك من خلال ترسيخ فهمٍ جديدٍ للمصلحة، التي هي في نظرهم مقدمةٌ على النص أبدًا.

---

(١) يعتبر الديالكتيك الأساس الذي تبنى عليه الشيوعية وتعني: الجدل الذي يوصل إلى النظريات والقواعد التي تحكم الناس وتسير حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويرى منظروها أنها الأساس الموضوعي المادي لمجمل الحياة الاجتماعية وتبين جوهر المجتمع البشري وتدرس قانونيات التاريخ العالمي للمزيد: أنظر (أصول الفلسفة الماركسية اللينينية، تأليف مجموعة باحثين، دار الفارابي ص١٠)

وفرَّعوا على هذا الأصل:ألا ضرورة للحجاب لأنه يعيق حركة المرأة، وأيضًا لا بأسَ بالفوائد الربويّة فهي منعشةٌ للاقتصاد، بل لا حاجة إلى الشريعة أصلًا؛ لأنّ عصرها قد ولّى !!

ولا عجب فيما قالوا، فأهدافهم معلومةٌ، لكنّ العجب أنّ نجد من يفتي في بعض بلداننا الإسلامية بجواز الفطر في رمضان لفريق كرة قدمٍ يلعب مباراةً في نهار رمضان، باسم المصلحة أيضًا !!

أرأيتم، إلى أي حدٍّ تدنّى مفهوم المصلحة المعتبرة في التشريع في نظر بعضهم؟!

الرافد الخامس:القرآنيون:

وهم قومٌ نسبوا أنفسهم إلى القرآن والقرآن منهم براءٌ، لأنّهم أصحاب شبهةٍ كبرى تنفي أن تكون السنة مصدرًا لفهم القرآن، ومن ثمّ فهي عندهم أيضًا ليست مصدرًا للتشريع، وقد استعاضوا عن السنّة في فهم القرآن بعقولٍ عليلةٍ و أفهامٍ سقيمةٍ.

أرأيتم إلى أي مدىً بلغ هؤلاء !! لا يعترفون بالسنة مصدرًا لفهم القرآن ويذعنون لسلطان الهوى وزيغ العقل مصدرين لفهم القرآن!

ولهؤلاء سلفٌ في الماضي فقد قال أحدهم **لُمطَرِّف بن عبد الله بن الشِخِّير – وهو من التابعين–:" لا تحدثونا إلا بالقرآن قال:والله ما نبغي بالقرآن بدلًا،**

ولكن نريد من هو أعلم منّا بالقرآن "[١].

وبعد ذلك بقرونٍ ظهر لهذه الفرقة وجودٌ في الهند، ثم امتدت هذه الظاهرة خارج الهند، ويقود القرآنيين الآن (أحمد صبحي منصور) الذي يلقب بشيخ القرآنيين، وله في ذلك مؤلفاتٌ منها كتابه:" حدّ الردّة دراسةٌ تاريخيةٌ أصوليةٌ " وفيه أنكر أن يكون لحدّ الردّة وجودٌ في الإسلام؛ محتجًّا بأنّه لم يرد في القرآن.

وكان لنا وقفةٌ معه ومع غيره من العلمانيين الذين التقوا معه على صعيدٍ واحدٍ في هذه المسألة، من خلال كتابنا " الحملة العلمانية على حدّ الردّة دوافعها ودفعها "، ثم توالت كتبه التي تحمل منهجه الهدّام إلى أن بلغ الأمر ذراه بهذا الكتاب، الذي لم يخجل أن يكون عنوانه " القرآن وكفى مصدرًا للتشريع"، وآخر ما وصل إليه هذا المجتهد في إنكار السنة هو زعمه أنّ الآذان لا يشتمل على عبارة " وأشهد أنّ محمدًا رسول الله "، فليس فيه إلا شقّ الشهادة الأول:أشهد ألّا إله إلا الله. أرأيتم إلى أي مدىً بلغ العداء للسنة؟! بل لشخص الرسول ﷺ ممن يزعمون أنّهم أهل القرآن؟!

وقد كذبوا فلو كانوا أهلا للقرآن، لكانوا أحرص على اتباعه وهو يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وإذا كان علماؤنا من أهل الحديث قد أشبعوا فرية عدم الاكتراث بالسنة

---

(١) المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، جمع وإعداد الباحث: علي بن نايف الشحود- (١٠ / ٢٥٩)

ردًا وتفنيدًا، فقد جاء دور أهل القرآن، إذ عليهم أن يكشفوا لهؤلاء وغيرهم أن فهم القرآن وبيانه وتفصيله منوطٌ بالسنّة المطهرة في مرتبته الأولى، والقرآن هو الذي قرر هـذا في قولـه ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] وأما التّفكر والتّدبر فهو تالٍ للبيان النّبوي وليس سابقًا عليه ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] وهو التّفكر المبنيُّ على مراعـاة قواعـد الدين وأصوله، و لم يخرج فيه سالكه عن قواعد التفسير وأصوله. فكيف إذا كان منبع هذا الاجتراء على تفسير كتاب الله عقلًا زائغًا وهوىً متبعًا؟

إنّني أقترح على أهل التخصص أن يقوم مشروعٌ متكاملٌ يحمـل عنـوان **"جنايات القرآنيين على القرآن والتفسير"** ينهض بـه عـددٌ مـن طـلاب الدراسات العليا المؤهلين للنقد، تناقش فيه أصول هذه الطائفة – على تسامحٍ في تسمية ما يعتمدون عليه أصولًا – ثم تُستقرَأ المواضع التي جنوا فيها على كتاب الله، بإساءة فهمه، لأنّهم لم يعتمدوا في ذلك الفهم علـى أصـول التفسـير وقواعده، ويكفي أنّهم هدموا أصل الأصول في هذا الفهم وهو البيان النّبـوي للقرآن. هذه هي القضية، وذاك هو المقترح، فهل من مشمرٍ؟

الرافد السادس للشبه المثارة حول القرآن في العصر الحاضر: النصارى:

وأكثر شُبَههم من النوع الساذج[1] اللهم إلا ما كان وسيلتهم فيه النقل عن

(١) أي بسيطٌ، فيقال" .إِنَّهُ رَجُلٌ سَاذَجٌ:أي بَسِيطٌ، يُصَدِّقُ كُلّ مَا تَقُولُهُ لَه أو قليل الخبرة والتجربة و"حُجَّةٌ سَاذَجَةٌ ": بَسِيطَةٌ غَيْرُ بَالِغَةٍ.

الروافض والمستشرقين وأذنابهم من العلمانيين.

وهؤلاء قد خصصوا للطعن في القرآن مواقع متعددةٍ على شبكة الإنترنت، واجهتها مواقع أخرى إسلاميةٍ، وواجهتها رسالةٌ علميةٌ لأحد الإخوة الأردنيين وهي رسالة:" **القرآن الكريم في مواقع الإنترنت العربية دراسةٌ تحليليةٌ نقديةٌ**"(١).

وهي في الواقع تُعنى بالشبهات المثارة حول القرآن الكريم في المواقع التنصيرية خاصةً. أقول: جهدٌ مشكورٌ، لكنّ الجهد الفردي لا يكفي في مواجهة هذا الطوفان، إنّنا في حاجةٍ إلى عملٍ مؤسسيٍّ يؤمن بأهمية القضية التي نطرحها وينطلق لمواجهتها، وليس أصلح لذلك من بيئة الدراسات العليا، في ظل اهتمامٍ - لا أراه صوابًا - حول شحِّ الموضوعات في الدراسات القرآنية، أدى إلى التعاطف مع بعض الموضوعات على ضعفها، وقبولها للتسجيل، علمًا بأنَّ موضوعاتٍ كثيرةٍ في هذا النطاق لم تطرق، ويبقى مجال النقد ساحةً مفتوحةً لكلِ من يرى نفسه مؤهلًا للدخول فيها، بل واجبًا يجب إبراء الذمة بأدائه، من قبل المؤسسات القرآنية أساتذتها وطلابها. فهل من مشمرٍ للبدء بمدارسة كتابٍ خطيرٍ حول جمع القرآن للمنصر البروتستانتي "جون جلكرايست"(٢)؟

---

(١) أطروحة دكتوراه للدكتور: عبد الرحيم خير الله عمر الشريف، رئيس قسمي الفقه وأصول الدين في جامعة الزرقاء الخاصة/الأردن، وقد تتناول فيها الشبهات المثارة حول القرآن الكريم في مواقع الإنترنت التنصيرية ونقدها.

(٢)كتاب "جمع القرآن" و يهدف إلى التشكيك في القرآن كنصٍ محفوظٍ على مر الأجيال، وتحفل بترجمته للعربية ونشره الشبكات العلمانية والليبرالية في البلاد العربية.

هذه هي أخطر روافد الاشتباه على القرآن الكريم في العصر الحاضر.

والآن ننتقل إلى بيان أسسٍ موضوعيةٍ لابدّ من مراعاتها في الحوار الجدلي، يتبعها الحديث عن خطواتٍ عمليةٍ في مواجهة هذه الشبه.

والنماذج التي سنطرحها هي عبارةٌ عن حواراتٍ حيّةٍ مع عدد من المشتبهين على اختلاف صنوفهم.

أسسٌ موضوعيةٌ لابدّ من مراعاتها في الحوار الجدليِّ:

تحت هذا العنوان سنرشد إلى بعض الأسس التي ينبغي أن تكون حاضرةً في ذهن من يريد النقد، ومن يمارسه بالفعل، وبارزةً في سلوكه أثناء النقد، سواء كان النقد شفاهيًّا أو كتابيًّا ومن ذلك:

١- **تقوى الله** ﷻ، ينبغي على المناظر كما يقول أبو الوليد الباجي في كتابه المنهاج:" أن يتحلى بتقوى الله - عزّ وجلّ -، وأن يقدمها على جدله ليزكو نظره، ويحمد الله - عزّ وجلّ - ويصلي على رسوله ﷺ، ثم يسأل الله التوفيق لإدراك الحق ولا يقصد به المباهاة والمفاخرة فيذهب مقصوده ويكتسب إثمه.... إلخ من الآداب المهمة التي يجمل مراجعتها في كتاب "المنهاج في ترتيب الحِجاج" لأبي الوليد الباجي.

٢- مراعاة ألا يقوم بهذه العملية الحوارية إلا المؤهلون لها، وليس هذا تثبيطًا لهمم من يحبون دينهم وقرآنهم، ولا يملكون أنفسهم عندما تنتهك للرسول ﷺحرمةٌ، أو يتهم الدين بما هو منه براءٌ، أو تلصق بالقرآن الكريم افتراءاتٌ وأكاذيبٌ، فيهبون للردّ والدّفاع وهم غير مؤهلين.

نحن نغبطهم على شعورهم هذا، ونشكر كل واحد منهم فردًا فردًا على انفعاله ووثبته، التي هي في سبيل الله كما نرجو لها أن تكون، وإنّي والله لأحبّهم في الله وأحمد لهم حماستهم وغضبتهم لله.

لكن أن تدخل ساحة عراكٍ وأنت غير مؤهلٍ، أو تقتحم ميدانًا وأنت غير مسلحٍ، فأنت بذلك تضرُّ ولا تنفع، وتساعد على تثبيتِ شبهة الخصم ولا تدفع، وتكون كمن ألقى بنفسه في التهلكة، وأخشى أن يكون من هذه حاله قد أضرَّ بدينه وهو لا يشعر، لأنّه – لعدم تأهيله – ساعد خصمه على أن ينتصر عليه، وأعانه على أن يشعر بنشوة الانتصار ويفاخر بها، وقد وضعنا لهذا المعنى شعارًا هو: " **ناظر وأنت مؤهلٌ وحاور وأنت مؤمِّلٌ** " وهو عنوان مقالةٍ كاملةٍ لمحدثكم.

٣- **التحلي بالموضوعية، والبعد عن السباب والغمز والانفعال**؛ فإن ذلك يضعف من قيمة الحوار مهما كانت قوة الردود.

٤- **تجديد الخطاب**؛ فكثيرٌ من المشككين في القرآن قد اطلعوا على ردودٍ سابقةٍ وحفظوها، وربما تنبهوا إلى ثغراتٍ في بعضها، وقد يكون التجديد المطلوب، هو تجديدٌ في العرض بما يتناسب وطبيعة المشتبهين في العصر الحاضر.

الخطوات العمليّة في مواجهة الشبهة:

أولًا:عدم التسليم بالشبهة، بل يجب العمل على تفكيكها وتقويضها، فالدخول المباشر في الجواب عن الشبه يفقده الصواب والدقة، ويكسب الخصم

– في رأيي – ما يزيد على الستين أو السبعين في المائة انتصارًا؛ لأنّ التسرع بالجواب معناه التسليم بصحة الشبهة، والمطلوب من المجادل عن القرآن زعزعة الشبهة أولًا، وخلخلتها في ذهن ملقيها، ليبدأ المناظر بعد ذلك في تصحيح المفاهيم، وبيان الصواب من الأمر، والكشف عن إيجابيات القرآن فيما يُطرح.

نقول هذا إيمانًا منّا بأنّ كلَّ ما يشتبه به على القرآن، هو مما لا يسلم لقائله؛ لأنّه إما قولٌ ضعيفٌ اتكأ عليه الخصم، أو خطأٌ تمسكَ به، أو سوءُ فهمٍ تعلقَ به.

١– الدليل للتأكد من صحته، فإن لم يكن له دليلٌ أصلًا، أو له دليلٌ غير صحيحٍ سواءً كان دليلًا من العقل أو النقل، فإنّه يُكشف له عن عقم دليله أو انعدامه.

أو يكشف له عن عدم اعتبار دليله، إن كان دليله غير معتبرٍ مطلقًا أو في هذه المسألة تحديدًا، كمن يزعم أنّ لحنًا في قوله – تعالى –: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء: ١٦٢] وهو جزء آيةٍ من سورة النساء وهي قوله – تعالى –: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٦٢] ارتكازًا على أنّه جاء منصوبًا بين مرفوعين، هما قوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وقوله: ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، فإنّ تتابع المعطوفات على حالةٍ إعرابيةٍ واحدةٍ قاعدةٌ إعرابيةٌ معتبرةٌ، لكنّها هنا غير معتبرةٍ؛ لأنّ للنّص الكريم تخريجًا نحويًّا آخر غير العطف وهو: أن يوجّه النصب

في: ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بأن:يكون على المدح، والناصب فعلٌ مضمرٌ تقديره أمدح، أو أخص المقيمين الصلاة. والعلة بيان فضل الصلاة ومزيتها، فإذا انتهت هذه الخطوة وبان أن دليله صحيحٌ، ننتقل للخطوة الثانية:

٢- النظر إلى صحة الاستدلال بهذا الدليل، إذ إنه قد يكون الدليل صحيحًا لكن الاستدلال به غير صحيحٍ. كمن يستدل بقوله – تعالى -: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ [النساء: ١١] على أنّ الإسلام مايز بين نوع الرجال عن نوع النساء في الميراث، فإن الدليل صحيحٌ لكن الاستدلال به على الدعوى غير صحيحٍ، لأنّ الآية لا تتكلم عن النوع حتى يقال:إنّ الإسلام ميز الذكور على الإناث، ولكن – هنا - الحديث عن تقسيم التركة بين الأبناء فقط خاصةً، فمن مات وترك أبناءً ذكورًا وإناثًا، فإن نصيب الذكر يكون ضعف نصيب أخته، لما على الذكر من مسؤولياتٍ ليست على أخته الأنثى من النفقة على من يعولهم، وهي ليست كذلك.

وبعد هذا البيان يُكشف للمشتبه أن فلسفة توزيع التركة في الإسلام لا تقوم على هذا التمايز الذي زعمه، بدليل أن هنالك حالاتٍ يستوي فيها نصيب الذكر والأنثى وهم في درجةٍ واحدةٍ كالأخوة والأخوات لأمٍّ فإنّ نصيب كل واحدٍ من الأخوين الذكر والأنثى السدس، فإن كانوا أكثر من اثنين، اشتركوا جميعًا في الثلث، فيقسم بينهم بالتساوي للأنثى مثل الذكر.

وللمسألة هذه تفاصيلٌ أخرى تؤكد ما ذهبنا إليه، لكننا نتركها لنأتي إلى ما بعدها.

ثانيًا:تأمل النصّ القرآني محل الاشتباه عند الخصم، فلعل نظرةً فيه متأنيةً، تحل لك الإشكال وتدفع الشبهة، لستريح من البداية.

قال لي أحد العلمانيين وكنّا في نقاشٍ عن التأويل في الفكر العلماني، قال:ليس العلمانيون فقط هم الذين يستخدمون التأويل في خدمة قضاياهم، فالشرعيون كذلك في استخدام التأويل الذي حافظ على بقاء النص الديني.

قلت:كيف؟ قال:انظر مثلًا آية: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِ﴾[لقمان: ٣٤] كان المفسرون قديمًا يقولون:معناه أنّ الله يعلم نوع في الأرحام هل هو ذكرٌ أو أنثى؟

لكن بعد اختراع جهاز الموجات فوق الصوتية (السونار) الذي يكشف نوع الجنين، قال المؤولون:المعنى يعرفه هل هو شقيٌّ أو سعيدٌ؟ وما المدة التي سيعيشها؟ وهل سيتزوج أو لا؟...إلخ، فانظر كيف تغير التأويل ليحافظ على بقاء النص. قلت له: بل النص هو الذي يمتلك في ذاته مقومات بقائه. قال:إذن أجبني عما طرحت. قلت: انظر إلى الآية هل قالت ويعلم من في الأرحام؟ أو قال ما في الأرحام؟

فلو قالت: مَن في الأرحام انصرافًا إلى النوع، لكان اتهامك في محله، ولكن التعبير هنا بـ (ما) التي تشمل كل شيءٍ يتعلق بما في الأرحام من أمر الأجنة، وليس فقط نوعها، وعلى هذا يكون النص الكريم هو الذي قرر هذا، وليس التأويل.

ثالثًا:الانطلاق في الجواب من المسلمات المشتركة، فإن لم يكن فمن مسلمات الخصم المشتبه وليس من المنطلقات الإيمانية للمحاور المدافع؛ لأن ما

يؤمن به ويعتقده الناقد قد لا يؤمن به ولا يعتقده الخصم.

وهذا يوجب عليك قراءة مخالفك وإلى أي مذهبٍ أو عقيدةٍ ينتمي، أو قد لا يكون منتميًا لكن له في قومه عاداتٌ وانحلالاتٌ هم ماضون عليها صارت بالنسبة لهم مذهبًا، وهذا دأب الإلحاد المعاصر بفلسفاته المادية التي تقدس الإنسان من حيث هو، ولا ترى لأي خارج عنه سلطانًا عليه بالأمر والنهي، فالخير ما يراه هو خيرًا والشر ما يراه هو كذلك.

ومن خلال قراءتك لمخالفك يمكنك التعامل معه ومحاورته ومحاجته، ولنا في ذلك سلفٌ وهو ما أخرجه أبو نعيم في الحلية بسنده عن حاطب بن أبي بلتعة ﷺ قال: "بعثني رسول الله ﷺ إلى المقوقس ملك الإسكندرية فجئته بكتاب رسول الله ﷺ فأنزلني في مترلٍ فأقمتُ عنده ليالي، ثم بعث إلي وقد جمع بطارقتهُ فقال:إني سأكلمك بكلامٍ فأحبّ أن تفهمه مني، فقلتُ:كَلِمْ، فقال:أخبرني عن صاحبك أليس هو نبيٌّ؟ فقلتُ:بلى، وهو رسول الله ﷺ، قال:فما له حيثُ كان هكذا لم يدعُ على قومه حين أخرجوهُ من بلده؟! فقلتُ:عيسى ابن مريم أليس هو نبيٌّ؟ قال: أشهد أنه رسولُ الله، قلتُ: فما له حيثُ أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه أن لا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حتى رفعه الله إليه في سماء الدنيا، قال:أحسنتَ، أنت حكيمٌ جاء من عندِ حكيمٍ.

مثال تطبيقي من خلال حوارٍ حيٍّ:

ناظرني واحدٌ ممن يعادون السنة يومًا على شاشة التلفزة المصرية، وكان موضوع اللقاء عن (حد الردة) وهو ككثيرٌ ممن برزوا – الآن – ينكرون حدّ

الردة، ودليل إنكارهم له عجيبٌ، وهو أن القرآن لم يذكره، فلو كان مشروعًا لذكره القرآن، فإن قلت له: إنَّ السنّة الصحيحة قد صرحت به فعند البخاري حديث: «من بدل دينه فاقتلوه"[(١)]. وعند مسلمٍ حديث: «لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ الثَّيِّبُ الزَّانِ وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»[(٢)].. قال: "ما علينا من السنّة، فنحن لا نعترف إلا بالقرآن".

ويظهر بعضهم علمه بالسنة ومراتبها فيقول: هذا خبرٌ آحادٌ، فكيف نقتل نفسًا بشريةً بخبر آحادٍ؟ وأجزم أنَّ أكثرهم لا يعرف معنى خبر الآحاد، إذ هو عندهم ما رواه واحدٌ.

المهم أنّ صاحبنا بدأ كلامه منكرًا لحد الردّة مستدلًا بأنّ القرآن لم يذكره ثم تلا آية سورة البقرة: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧] ثم قال: فأين حدّ الردّة في هذه الآية؟ إنّها تتحدث عن عذاب الآخرة فقط جزاء الارتداد. ثم تلا آية المائدة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن

---

(١) حديثٌ صحيحٌ رواه البخاري وغيره من أهل السنة بهذا اللفظ:(من بدل دينه فاقتلوه)، صحيح البخاري - (٦ / ٢٥٣٧) برقم ٢٨٥٤ باب لا يعذب بعذاب الله، وبرقم ٦٥٢٤ باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم.

(٢) صحيح مسلم - (٥ / ١٠٦)، ورواه البخاري برقم ٦٤٨٤.

يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤]. وقال أيضًا: هذه الآية كذلك ليس فيها كلامٌ عن حدّ الردّة، إذن هو غير مشروعٍ، وقتل المرتد قتلٌ بغير دليلٍ.

ثم طالبني مدير الحوار بالجواب.

نلحظ هنا أن محاوري لا يقول بالسنة، وحينئذٍ؛ فالدليل النبوي في هذه المجادلة يلزمني ولا يلزمه، ولكن الذي يلزمه هو الدليل القرآن الذي هو به قائل.

فحمدت الله وأثنيت عليه وبينت في وجازةٍ فساد القول بأنّ ما لم يرد في القرآن هو غير مشروعٍ، إذا أتت به السنة، وثبت بطرقٍ صحت بها النسبة على رسول الله ﷺ.

ثم قلت وأنا أضمر في نفسي شيئًا:سآتي إلى ما استدل به صاحبي من آياتٍ قرآنيةٍ نفى بها مشروعية حدّ الردّة، فتلوت آية البقرة متعمدًا الخطأ هكذا: "وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي**[الآخِرَةِ]** وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " .

قال صاحبي: في الدنيا والآخرة.

قلت: إذن القرآن قال: في الدنيا والآخرة، وليس فقط في الآخرة؟

قال: الآية تقول:حبطت أعمالهم يعني بطل ثوابها.

قلت: وهل في الدنيا ثوابٌ؟

قال: وما معنى هذا؟

قلت: يدخل في حبوط أعماله في الدنيا حدّ الردّة الذي صرحت به السنة.

وهذا الذي أقوله يا إخوان ليس بدعًا مني، ولكن قال به الفخر الرازي عند تفسيره للآية، قال:" المسألة الثالثة: أما حبوط الأعمال في الدنيا، فهو أنه يقتل عند الظفر به ويقاتل إلى أن يظفر به ولا يستحق من المؤمنين موالاةً ولا نصرًا ولا ثناءً حسنًا، وتبين زوجته منه ولا يستحق الميراث من المسلمين...إلى أن قال:وأما حبوط أعمالهم في الآخرة فمعناه أن هذه الردة تبطل استحقاقهم للثواب الذي استحقوه بأعمالهم السالفة " ا.هـ تفسير الفخر الرازي.

نعود إلى الحوار:

قال لي صاحبي: فماذا أنت قائل في آية المائدة؟

قلت: هيا نتلوا الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤].

ثم قلت: هذه الآية استهلت بنداءٍ للمؤمنين، ثم كان المنادى من أجله جملةً شرطيةً كاملةً، فيها شرطٌ وجوابه (من يرتد...فسوف يأتي) وجواب الشرط يقال له أيضًا:جزاء الشرط، لأنه جزاء عن فعل الشرط، تأمل هذا المثال اليسير جدًا: من يذاكر ينجح، ومن يهمل يرسب، فانظر:كيف كان النجاح جزاءً عن المذاكرة، والرسوب جزاءً عن الإهمال.

قال: وما معنى هذا؟

قلت: معناه أن إتيان الله ﷻ بقومٍ يحبهم ويحبونه لا بد أن يكون مرتبطًا

بارتداد هؤلاءِ ارتباط الجواب بالشرط، ليكون جزاءًا له، وعليه فإن هؤلاء القوم هم أئمة المسلمين الذين يقفون عند حدود الله، ويطبقون شرع الله، ومنه أنّهم يقومون بتطبيق حدّ الردّة على من يقعون في الارتداد بشروطه، ولذلك قال كثيرٌ من السّلف فيما نقله عنهم الطبري وغيره: إنّ هذه الآية نزلت في أبي بكرٍ وأصحابه في جهادهم المرتدين في حروب الردة، فبهت الذي أنكر، وأسقط في يده!

رابعًا:ومن الخطوات المهمة أيضا في الرد على الشبه، استقراء آراء العلماء في المسألة المطروحة إن كان للعلماء فيها مواقف متباينةٍ، وذلك لمعرفة أي أقوالهم أنجح للتعامل مع الشبهة.

فقد يكون الرد المناسب على الشبهة ماضيًا على رأي بعض العلماء في مسألةٍ خلافيةٍ، فحينئذٍ ينبغي الاعتماد عليه في المحاجة الجدلية، حتى لو عده بعض العلماء مرجوحًا في الأصل، فأنت — هنا - لستَ في مقام الموازنة بين الرأيين فذاك مقامٌ آخر، ولكنك في مقام اختيار أنسب الرأيين لمواجهة الشبهة، أي أنّه في هذه الحالة يمكن الاستئناس برأيٍ مرجوحٍ في معنى النص الذي أستند إليه؛ لأنّه الأقوى في مواجهة التشكيك.

وأنا أقول رأيًا مرجوحًا وليس رأيًا باطلًا أو ضعيفًا.

خامسا:هنالك كثيرٌ من الشبه يكون المرتكز فيها على قوة المناصر للقرآن الكريم وثقافته ومهارته وتمكنه الذاتي من الحوار والجدل، واجتهاده في الجواب، لأنه قد لا يجد من تعرض لمسألته هذه من السابقين، إما لأنّها شبهةٌ

جديدةٌ لم تذكر في الماضي، أو لأنها من ذلك النوع الساذَج الـذي لم يكـن المشتبهون السابقون يطرحونه، وهذا اللون الآن صار كثيرًا جدًا، ونسبته عاليةٌ بين الشبهِ المطروحة من المشككين.

التوصيات:

١- **أؤكد على دور الجامعات الإسلامية في التمكين لعلم الجـدل عـن القرآن والانتصار له**، وإذا كان لهذه الجامعات جهدٌ مشكورٌ لما تقوم به مـن نشرٍ للثقافة الإسلامية وتعليمها، لكنّ هذا ليس كافيًا، فيجب أن يتعلم الطلاب أسس الجدل العلمي والحوار الجاد، إنّ المسلمين جميعهم يؤمنون بـأنّ القـرآن كلام الله، وفي المقابل فإنّ كثيرين منهم قد لا يستطيعون إثبات ذلـك إذا مـا جابهم مشككٌ يعرف كيف يدور برؤوس محاوريه.

إنّ من المهمّ جداً في جامعاتنا وخصوصًا لطـلاب الدراسـات العليـا في الدراسات القرآنية أن يتعلموا منهج دفع الشبه، وأن يتدربوا عليها، وأن يطلب منهم الإبداع في هذا وليس مجرد حفظ أجوبةٍ جاهزةٍ قد لا يقتنع بهـا المشـتبه المعاصر.

لأنّ بعض من يلقي الشبه يحفظ الأجوبة الجاهزة عنها، فيلقي شبهته ويؤكد على محاوره ألا يجيبه بكذا وكذا من الأجوبة الجاهزة لأنه يعرفها وأنها لا تقنعه.

إنّ المواجهات الآن بين الإيديولوجيات هي مواجهاتٌ ثقافيـةٌ، وباتـت الحروب الآن حروبًا فكريةً والغزو الفكري بوسائل الاتصالات الحديثـة فـتح أمامه كل المنافذ، فإن لم تعد أمة القرآن العدّة للدفاع عن سبب عزها وفخارها

ونجاتها في الدنيا والآخرة فماذا هي قائلةٌ غدًا يوم العرض؟

وكيف نأمن على أبنائنا والأجيال القادمة في ظل غزوٍ فكـــريٍّ لا يـــرحم، وثورةٍ اتصالاتيةٍ لا حدود لها، وموروثٍ متخاذلٍ ظنّ أنّه قد أحسن صنعًا بترك الشبه لتموت في ظنه، والله يعلم ما هي فاعلةٌ، فنسأل الله السلامة.

٢- **ومن التوصيات أيضًا وجوب إنشاء موسوعةٍ عالية الجودة** من حيث اختيار عددٍ كبيرٍ جدًا من الشبهات يستكتب المتخصصون المعنيون بعملية النقد لإنجازها.

مداخلات لقاء : "كيف نواجه حملات التشكيك المعاصرة حول القرآن الكريم":

***المداخلة الأولى للأستاذ الدكتور:محمد بن عبد الرحمن الشايع:**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله،والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه..

أدلف مباشرةً إلى كلمةٍ موجزةٍ، فأشكر المحاضر الفاضل أ.د أحمد بن سعد الخطيب على محاضرته القيمة، فقد أفاد وأجاد -كعادته بارك الله فيه ونفع به- في عرضه لهذا الموضوع المهمّ والمتجدد الحضور؛ لكونه ساحة صراعٍ عقـــديٍّ وجدلٍ فكريٍّ وتسلطٍ سياسيٍّ، تثيره وتديره جهاتٌ ومراكز متخصصةٍ لا تظهر في الصورة وإنما تقطف الثمرة، ولا ينبغي أن نعتقد أن كثيرًا مما يثار ويدار يأتي عفوًا أو يمثل إشكالًا حقًا لهذا المشكك الخائض في الشبهة، فكثيرٌ منهم يُدارون

وهم لا يشعرون ويطلب منهم أحيانًا ما لا يريدون، وآخرون تطرح عليهم الفكرة وتزين لهم الشبهة؛ فيلتقطونها وهم لا يشعرون ويرون أنّهم يحسنون صنعًا وهم لا يعلمون !!

وإذا تباينت الاجتهادات أمام الموقف من الشبهات، بين داعٍ لإماتتها بعدم الرد عليها أو الخوض فيها، وبين داعٍ إلى الحديث عنها بإفاضةٍ؛ فينبغي أن يكون هناك موقفٌ مدققٌ محققٌ محررٌ تقلب فيه وجهات النظر وصولًا إلى رأيٍ تتحقق فيه المصلحة، وتندفع فيه الشبهة والمفسدة؛ لأنّ القلوب ضعيفةٌ والشبه خطافةٌ، والأعداء كفرةٌ ومكرةٌ، وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال، والشبهات أعراضٌ وأمراضٌ، وهي قديمة المعاني والموضوعات متجددة الأساليب والطروحات، حكى القرآن الكريم أكثرها وأكبرها وأجاب عنها كما سمعنا وكما نعلم.

ولإثارة الشبهات أهدافٌ وأغراضٌ؛ أهمها تضليل العامة، وزعزعة إيمانهم، والتشكيك في ثوابتهم ومعتقداتهم إلباسًا للحق بالباطل، وهذا مسلكٌ ومنهجٌ قرر القرآن وجوده وكشف أهله فقال - تعالى -: ﴿ **وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[البقرة: ٤٢] وللحيلولة دون تحقيق الغرض الهدَّام للمشبهين والمشككين - كما سماهم فضيلة المحاضر-؛ أرى عدم الانسياق معهم في طرح الشبهات وكثرة تداولها أمام العوام ما أمكن ذلك، وأن يكون النقاش معهم في الدوائر التخصصية.

وحيث إنّ من أغراض المشككين وأصحاب الشبهات أيضًا إشغال الخاصة بهذه الشبهات، وصرف هممهم وجهدهم عما هو نافعٌ ومفيدٌ؛ من نشر العلم

الصحيح وبيان الحق والدعوة إليه؛ لذلك ينبغي أن يكون الاشتغال والانشـــغال بهذه الشبهات بقدرٍ، إما أن تنفرد له فئةٌ قليلةٌ تتخصص فيه وتتفرغ له، أو يعطي لها الإنسان بعض جهده ووقته.

ثم المشككون أجناسٌ وأصنافٌ؛ فمنهم منكرٌ مصدرية القرآن الكريم الإلهية وكونه من كلام الله ﷻ، ويزعم بأنّه بشري المصدر من كلام الرســـول ﷺ أو حتى من غيره من مستشرقين أو مستغربين أو غيرهم، وأرى أن هؤلاء لا ينبغي الحوار معهم في الجزئيات والروايات؛ لأنّها غير متناهيةٍ فلو انقطعت واحدةٌ أو اقتنع بها لأتى بأخرى، وإنما يكون الحوار معهم حول مصدرية القرآن الكـــريم وكونه كلام الله ﷻ؛ لأنّ من أقر بهذا أقر وآمن بكمال القرآن وجلاله وجماله وحفظه من الزيادة والنقص، أو التحريف والتصحيف، إيمانًا بقوله ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

والنوع الآخر:من يؤمن بأنَّ القرآنَ كلامُ الله، وهؤلاء كذلك أصنافٌ وأجناسٌ وفرقٌ وأفرادٌ، فأما مريد الحق والباحث عنه فإنّه أوابٌ توابٌ وأمره إلى خيرٍ، وقناعته وجوابه يسيرٌ، ويوفقه الله ﷻ إلى الهداية والحق، ولو ذكرنا بعض الأمثلة لهؤلاء؛ يمكن أن نتذكر (موريس بوكاي) الطبيب الفرنسي الجراح المشهور،الذي كان يُساءل ويجادل من يراه من المسلمين حول مصدرية القرآن وأنّه كلام الرسول ﷺ، وبعضهم يحاول إقناعه فلا يقتنع، حتى التقى بمن طرح عليه هذا الرأي، ولعله الملك فيصل[1]، فقال له: هل قرأت القرآن؟ قال:نعم،

(١) كان موريس الطبيب الشخصي للملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله.

قرأت ترجمة بلاشير وقرأت كذا، فقال:أنت لم تقرأ القرآن، إن أردت أن تقرأ القرآن فاقرأه بلغته، فيقول: بأنه لم يذكر له أحد هذا اللفت النظري للموضوع، ثم أخذ يتعلم العربية أربع سنواتٍ، كل أسبوعٍ يأخذ درسًا يوميًّا عدا يوم واحد إجازة، وحينما طلبت فرنسا استقدام مومياء فرعون مصر للكشف عليها وإجراء بعض الدراسات حولها وترميمها وما يتعلق بذلك، وأُرسلت إليهم من مصر واستقبلها ميتران ووزراؤه استقبال الفاتح العظيم، وأخذوا يدرسونه، كان (موريس بوكاي) منشغلًا بمسألة كيف مات، ما سبب موته؟ وبالتحاليل واستخدام الأجهزة وما يتعلق ويتطلبه الموضوع؛ تبين له بأن هناك أملاحًا تدل على أنّه مات غرقًا ورأى أنه اكتشف سرًّا، وأراد أن يعقد مؤتمرًا صحفيًّا عالميًّا يكشف فيه هذا السرّ فقيل له، أو همس في أذنه: بأنّ المسلمين يقولون بهذا وكتابهم يشير إلى هذا، فاستغرب واستنكر، وقال:هذه حقائقٌ لا يمكن أن يصلها إنسانٌ قبل أربعة عشر قرنًا، كيف أتى بهذا؟ وحينما قُرئ عليه: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٢] ، استغرب، وسارع إلى دراسة القرآن، وألف كتابه (القرآن والتوراة والإنجيل والعلم)[١] وأسلم؛ لأنه كان لا يبحث عن شبهةٍ وإنما يبحث

(١) تناول هذا الكتاب بالمقارنة الموضوعية ـــ بناءًا على ما تم اكتشافه في العصر الحديث وبمقياس العلم الحديث – الروايات للكتب المقدسة الثلاثة (القرآن والتوراة والإنجيل) حول خلق العالم، وتأريخ خلق الانسان وبداية ظهوره على الأرض، إضافةً إلى عدد من الحقائق العلميه الثابتة عن الكون وطوفان نوح – عليه السلام – وغيرها، ونشر الكتاب عام ١٩٧٦م وترجم لنحو من ==

عن الحقيقة، وأمثاله كُثرٌ، فهناك مثلًا الدكتور (جاري ميلر) من المبشرين النشيطين في الديانة النصرانية، ومن علماء الرياضيات،كنديٌّ أراد أن يطلع على القرآن لكي يجمع الشبه.

==

سبع عشرة لغةً من اللغات الحية من بينها ترجمة الأستاذ على الجوهري للغة العربية الصادره عن مكتبة الساعي للنشر والتوزيع، في المملكة العربية السعودية.